



جامعة الفارابي
كلية الآداب

دراسات في الشعر في العصرين الإسلامي والأُموي

دكتور
عبد الحميد القطر

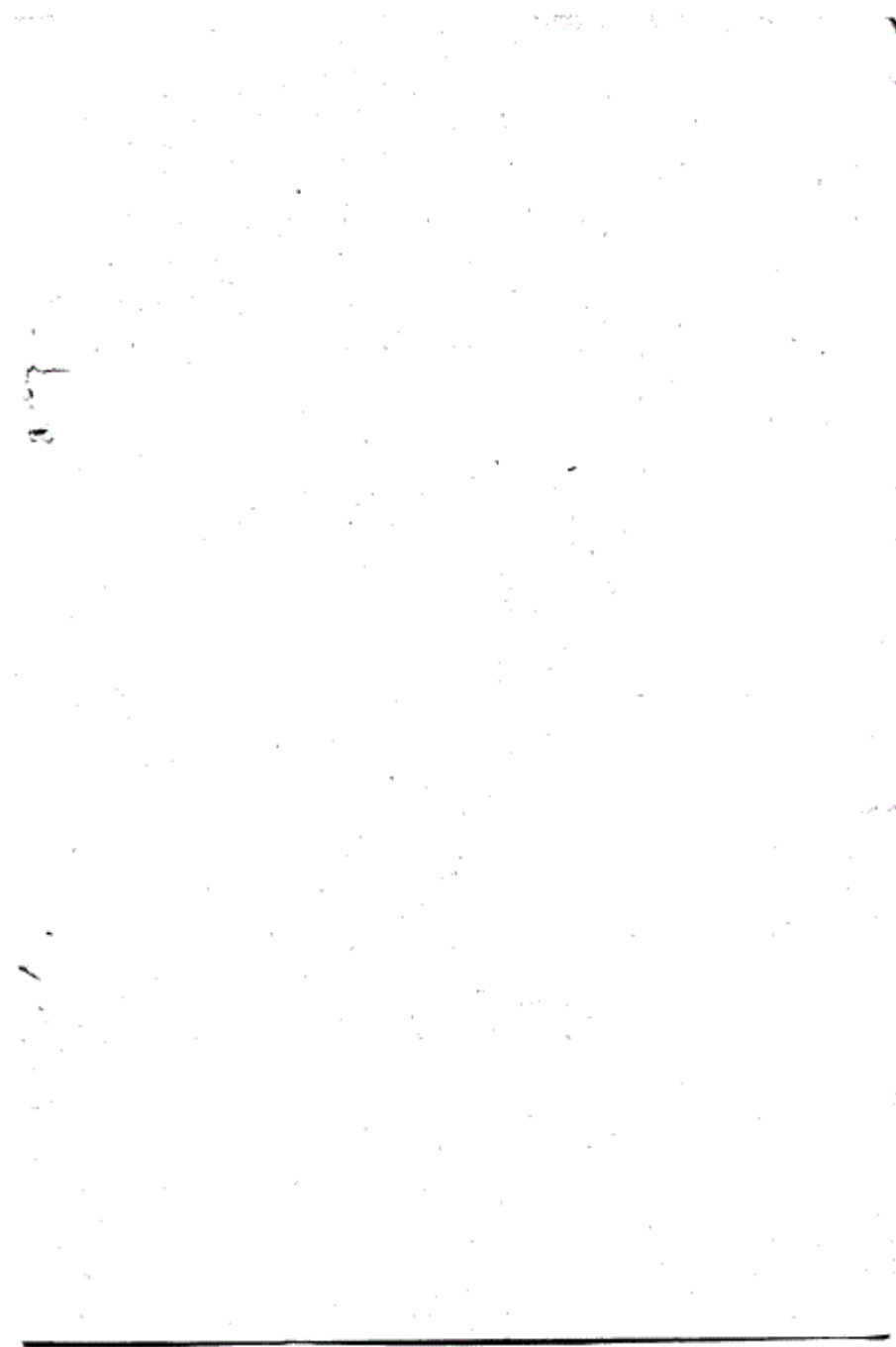
١٩٨٧



جامعة الزقادي
كلية الآداب

دراسات في الشعر في العصرين الإسلامي والأُموي

دكتور
عبد الحميد القطر



(ب)

الفهرس

- ١ - مقدمة
- ٢ - العصر الاسلامي
- ٣ - تراجم ونصوص من العصر الاسلامي
الاعشى ميمون بن قيس
ليبد
الخطبة
حصان بن ثابت
كمب بن زهير
- ٤ - عصر بني أمية
- ٥ - تراجم ونصوص من العصر الاموي
جهر
الفرزدق
الراعي النميري
- ٦ - الغزل في العصر الاموي
- ٧ - نصوص من الغزل العذري وتراجم الشعراء
مجنون بن عامر
جهيل بن معمر
مجنون لبكي
- ٨ - الغزل لاحق وتراجم الشعراء
عمر بن أبي ربيعة

و (ج)

بفرض على طلبة العدة ومن ومن كى ومعه

عد الرحمن بن مسافع بن دارة

الحارث بن خالد المخزومي

سعيد بن عد الرحمن

٩ - شعر السياسة في العصر الاموي *

العصر الاسلامي والاموي

يطلق العصر الاسلامي على الفترة الممتدة من ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢ هـ . وتنقسم الى فترتين هما : فترة صدر الاسلام التي تبدأ بشروق فجر الاسلام على الجزيرة العربية وتنتهي بقتل رابع الخلفاء الراشدين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وتوالت معاوية بن ابي سفيان الخلافة سنة ٤١ هـ . وكما هو واضح يعتقد هذا العصر من بعثة الرسول حتى وفاته ثم وفاة آخر خلفائه الراشدين . أما الفترة الثانية من ذلك العصر فهي عصر بني امية الذي يبدأ سنة ٤١ هـ وينتهي بقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية سنة ١٣٢ هـ ، وتقام دولة بني العباس .

وشعر صدر الاسلام جديلا بين الباحثين حول قيمة ما أبدع فيه من شعر ، فقد أشار بعض القدماء الى ضعف الشعر في هذا العصر . فقال ابن قتيبة مثلاً عن ضعف شعر حسان بن ثابت في الاسلام : " لا دخل عن الاصمعي : " قال : الاصمعي : الشعر نكد بابه الشر . فاذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان (بن ثابت) فدخل من فحول الجاهلية . فلما جاء الاسلام سقط شعره ، وقال مرة : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر . فقلع منه في الاسلام . لحال النبي صلى الله عليه وسلم . " (١)

وتابعهم في رأيهم هذا بعض المحدثين ، وعلى سبيل المثال الدكتور عبد القادر القط حيث يرى في سياق حديثه عن دور الفحول في العصر الجاهلي ، ويذهب بعد الاسلام : " وكأنما فرغ هؤلاء الفحول من

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق احمد محمد شاكر ، الجزء الاول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٠٥ .

تلك الرسالة الحضارية قبيل الاسلام ، فانقضى جيلهم وظل المجتمع العربي
 يضح سنواً تنتظر رسالة من نوع جديد تحقق للعرب تلك الوحدة التي
 كانت كثير من مظاهر الحياة في الجزيرة العربية تبنى بها ، وتستخدم
 تلك اللغة التي مكن لها هو "الشعراء" في الارض كلى تحمل قيمها
 الروحية والحضارية الجديدة .

وكان لابد أن تضي سنتين أخرى في ظل الاسلام حتى ينشأ جيل
 جديد تبنى في تلك البيئة الحضارية الجديدة بعد أن تلبست سماتها
 واستقرت قيمها وتجاوزت مرحلة الانتقال الى مرحلة الامالة * (١)

في حين ذهب فريق من المحدثين الى انكار ضعف الشعر في هذا
 العصر ، وقالوا انه انما اتجه وجهة جديدة تحكم ما أحدثه الاسلام في
 الحياة العربية من تغيير جذري في شتى نواحي الحياة . فيرى - مثلاً -
 أستاذنا الدكتور شوقي ضيف أن الشعر لم يضعف في صدر الاسلام ، مخالفين
 غيره من الباحثين . وان كان لا يصرح برأيه هذا وإنما يضمنه قوله : " وأكبر
 الظن أنه أغفح كيف أن الشعر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان
 يجرى على كل لسان ، وكفى أن نرجع الى سيرة ابن هشام فسنرى سيرة
 تدافع من كل جانب ، وحفا فيها شعر موضوع كثير ، ولكن حينما يصفى
 وحين نقابل ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم ، نجد لنا
 ازاء ملحمة ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء والشاعرات * (٢)
 فالشعر كثير وهو شعر جيد ما دام لم يشر الى صفة الجودة بالنفسى ،

(١) دكتور عبد القادر القط ، في الشعر الاسلامي والاسمى ، دار النهضة
 العربية ببيروت ، لبنان ، ١٩٧٦ ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) دكتور شوقي ضيف ، العصر الاسلامي ، الطبعة السابعة ، دار المعارف
 القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٥٣ .

ولكن القضية فنية تنقية الشعر من المنحول على شعراء تلك الفترة .
ويتضح رأيي هذا من موقفه من شعر حسان في الاسلام فهو يرى أن شعر
حسان لم يضعف في الاسلام وإنما دخله الانتحال وهذا سر ضعفه :
... . والحق أن شعر حسان الاسلامي كثر الوضع فيه . وهذا هو السبب
فيما يشيخ في بعض الاشعار الممنوعة اليه من ركابة وهلملة . لا لان شعره
لان وضعف في الاسلام كما زعم الاصمعي ، ولكن لانه دخله كثير من
الوضع والانتحال . (١)

ولا خلاف في أن العصر الاموي (٤١ - ١٣٢ هـ) شهد تطوراً واسعاً
في نظم الشعر ، وظهرت فيه اتجاهات مختلفة وشعراء مجددون بالقياس
الى فترة صدر الاسلام .

وهناك من يطلق بمصطلح العصر الاسلامي ، ويقصد به عصر صدر
الاسلام ليفرق بينه وبين عصر بني أمية . ولا يعني هذا عند هؤلاء
الباحثين أن عصر بني أمية لم يكن عصر اسلامي . فالواقع أن الاسلام
امتد في عصر بني أمية الى أقصى مدى له على الساحة الدولية المعاصرة
له . ولا تزال تلك التسميات والتقسيمات محل خلاف بين الباحثين الذين
يرى بعضهم أن تقسيم الادب الى عصره الراهنه ، مثل العصر الجاهلي
والاسلامي والاموي ، والمباني الاول والثاني وغيرها . لا يصور حقيقة تطور
الادب العربي فالعصور السياسية ليس حدوداً فاصلة بين المراحل الادبية
المختلفة ، لأن تطور الادب ليس من المحتم أن يرتبط بتغير العصور السياسية .
فالتأثيرات الادبية والثقافية بوجه عام قد تمتد من عصر الى عصر بصرف
النظر عن الاختلافات التي تحدث في أمور الحكم والسياسة ، وقد ذهب
كارلوتينو الى هذا الرأي . فبعد حديثه عن تسميات عصور الادب العربي
الى ستة عصور هي : العصر الجاهلي ، والعصر العربي الاسلامي

(١) دكتور شوقي ضيف ، مرجع سابق ، ص ٨١

(من ظهور الاسلام حتى سقوط دولة بني أمية ، والعصر العباسي الاول من ١٣٢ هـ - ٤٥٠ هـ ، والعصر العباسي الثاني من ٤٥٠ - ٦٥٦ هـ ، وعصر الانحطاط - كما يسميه - من ٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ ، وعصر النهضة من ١٢٢٠ - العصر الحاضر) (١) . يعقب على ذلك التقسيم بما يفيد ادخال العصور أي ادخال القديم مع الجديد الى أن يستقل الجديد ، فيقول : " ان هذه الحدود التي ذكرتها لكل عصر من الاعصر السبع ليست الا حدودا صناعية اعتباطية أثبتتها على التعريب ، فان عصر ما سوا من التاريخ السياسي أم من تاريخ الادب والعلوم لا يحصر في مواعيد معينة بدقة " (٢) . وبعد أن يؤيد رأيه هذا ببعض الامثلة يقول : " ولا يخالف ذلك ما يقع في سيرة الادب فان أنواعها وفنونها بطيئة التحول فتختلط في الغلب الاساليب القديمة بالجديدة في عصر واحد . وتوازنت فيه مدة الى أن يأخذ الاسلوب الجديد في الغلب على القديم شيئا فشيئا " (٣) . ولكنه يرى أن هذا التقسيم ليس خال من الفائدة ، وهو كعلامات الطريق التي يهتدى بها الباحث (٤) .

وقد ذهب طه حسين الى ما ذهب اليه كارلوتلينو من أن عصور الادب ، أو بمصارة أخرى الظروف السياسية قد تؤثر على الادب ولكنها لا تؤثر الى قوته أو الى ضعفه في كمال الاحوال ، فقد يكون ضعف السياسة حافزا لرتقى الادب ، كما رأينا ذلك عند قيام الديكتاتوريات في العصر العباسي (٥)

(١) انظر كارلوتلينو ، تاريخ الادب العربية ، دار المعارف ، طبعه ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٥٧ - ٦٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٠ (٣) المرجع نفسه ، ص ٦١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٦١ ، ٦٢ (٥) المرجع نفسه ، ص ٦٤

(٦) انظر طه حسين ، تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، دار العلم للملايين بيروت ، طبعه ١ ، ١٩٧٠ ، ص ٣٧ - ٤١

ثم يقول : " فأننت ترى الحياة السياسية لا تصلح مطلقا لأن تكون مقياسا للحياة الأدبية ، وإنما السياسة كغيرها من الموجزات ، كالحياة الاجتماعية ، كالعلم ، كالفلسفة تمتع النشاط في الأدب حيناً ، وتختصره إلى الضمير والجمود حيناً آخر . فلا ينبغي أن يتخذ واحد من هذه الأشياء مقياساً للحياة الأدبية . كما لا ينبغي أن يتخذ الأدب نفسه مقياساً لواحد من هذه الأشياء ، أنا ينبغي أن يدرس الأدب لنفسه وفي نفسه من حيث هو ظاهرة مستقلة يمكن أن تؤخذ من حيث هي ، وتحدد لها خصوصياتها الأدبية الخاصة " (١)

وتجيدت الدكتور عبد القادر القط من داخل العصور التاريخية الحاضرة فيقول : " والقبضة العامة للقبضات في صدر الإسلام تقوم على حقيقة حضارية معروفة ، هي أن هناك بالضرورة تدخلات بين فترات التاريخ الحاضرة وأنه لا يمكن أن يكون هناك حد فاصل بين فترة والتي تليها ، وبخاصة حين يتصل الأمر بقوميات نفسية بعيدة الغور في نفوس أصحابها ، أو بقيم فنية أصبحت عقائد مرسخة لا يمكن الخلاص منها فجأة أو الاعتداء التي غيرها من قيم جديدة " (٢)

وسأخذ هنا بالتقسيم الذي ارتضاه كثير من الدارسين لهذا العصر الإسلامي بشقيه أي عصر صدر الإسلام ، وعصر بني أمية . وقد كان عصر صدر الإسلام نهاية مرحلة من مراحل تطور الشعر العربي في رأينا ، وبداية مرحلة جديدة . فقد استقرت للشعر الجاهلي غالبية معينة في بناء القصيدة ، وفي القيم التي يعبر عنها ، ولعل ما لاحظناه ابن قتيبة عن بناء القصيدة ، وما ينبغي للداعر أن يقوم به من وقوف على الاطلال

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠

(٢) في الشعر الإسلامي والاموي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٧

ونزل ، يوصف للرحلة ثم دخول الى الغرض ، لدليل على ذلك (١) .

يشير الدكتور عبد القادر القط الى أن الضعف الذي لاحظته الباحثون على الشعر في العصر الاسلامي ، كان قد بدأ بهيب الشعر الجاهلي قبييل الاسلام . فيقول : " على أننا نود قبل أن نخشى في تحليل الحديث عن موقف هؤلاء الشعراء (يقصد شعراء صدر الاسلام) أن ننهي السى حقيقة ينقلها أغلب الدارسين في هذا المجال ، تلك هي أن ذلك الضعف الذي لاحظناه على الشعر الاسلامي كان قد بدأ في الحقيقة قبييل الاسلام لابعده . كان قد انقضى عصر " الفحول " ولم يبق منهم الا الاغنى الذي مات - كما تحول الرواية - وهو في طريقه الى النسي ليدحه صعلن اسلاميه وليبد الذي كان قد بلغ السنين وأوشك أن يكف عن قول الشعر . ولم يبق عند ظهور الاسلام الا شعراء يظنون مجيد في قصائد مفردة ولكنهم لا يملفون شأوهؤلاء الفحول " (٢)

ولما كان عصر صدر الاسلام قد شهد فجر الاسلام وما أعقب ذلك من دعوة ونضال في سبيلها ، وهجرة في سبيل تلك الدعوة ، وما تلاها من غزوات . فقد ظهر شعر جديد تأييدا لتلك الدعوة الاسلامية التي صاحب معاركها الحربية شعريد افصح عن قيم المسلمين ورد على هجسا المشركين . وقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم خطورة شعر المشركين في التشييط عن الدعوة الاسلامية والتهين من شخصية نبيها نفسه . فدعا شعراء المسلمين الى مواجهة أشعار الكافرين بأشعار ترد عليها وتدافع عن الاسلام ونبيه الكريم . يقول ابن سلام : " أن النسي على الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، تناولته قريش بالهجا " فقال لعبد الله بن رواحة : رد عنى فذهب في قد بهم وأولهم ، فلم يصنع في الهجا شيئا . فأمر

(١) الشعر والشعراء ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦

(٢) في الشعر الاسلامي والاسوي ، مرجع سابق ، ص ١٢

كمسب بن مالك ، فذكر الحزب ، كقوله :

نصل السيوف اذا قسرتهم يخلوننا قدما ، وتلقبها اذا لم تلحق
 فلم يمتنع في الهجاء شيئا . فدعا حسان بن ثابت فقال : أهجهم ، وأنت
 أبا بكر بخيرك - أي بمعائب القوم . وكان أبو بكر علامة قريش ، وكان جيهرا
 ابن مطعم أخذ العلم عن أبي بكر ^(١) . وقول ابن سلام أيضا : وأخرج
 حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال : والله يا رسول الله ، مسبا
 أحب أن لى به مقولا في العزب ، فصب على قريش منه ثأبي شديدا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهجهم ، كأنك تنفخهم بالثبل ^(٢)

كان ذلك الشعر يشل حيا نفسه - ان صح هذا التعبير -
 يستغله شعراء الرسول لتحقيق هذا الغرض ، وقد نجحوا في اثبات
 عيوبهم على شعراء المشركين ، وشعراء الرسول هم : حسان بن ثابت
 وكمسب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان حسان يهجو الكفار بالقيم
 الجاهلية في أغلب الأحيان . في حين كان هجاء عبد الله بن رواحة
 لهم هجاء اسلاميا أي يستند قيمه من تعاليم الاسلام فهو يهجوهم بالكفر
 والنفاق ، وما شابه ذلك .

وقد استعد حسان هجاء لقريش من أبي بكر المدني كما أورد ذلك
 ابن سلام فيما مضى . فقد كان أبو بكر عالما بمناقب القوم ومبدا قيل في
 حسان من أنه لم يكن فارسا شجاعا ، ولا مقاتلا مقداما فإنه قد أدى
 دوره أداء طيبا في أثناء تلك المعركة الشعرية الدعائية التي نشطت في
 ذلك الحين بين المسلمين والمشركين . وظل يومئذ هذا الذوحي عام
 الوفود . وكان هجاءوه أكثر ابلالا للمشركين في جاهليتهم فلما أسلموا

(١) ، (٢) محمد بن سلام الجعفي : أباقتات شعراء ، بتحقيق محمود محمد
 شاكر . الجزء الاول ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٧٤ ، ص ٢١٦ ،
 ص ٢١٧ .

كان هجاء عبد الله بن رواحة أشد وقعاً على نفوسهم . وهكذا انطلق شعراء المسلمين يجهنون هجاء المشركين بهجاء سائل ، وتبرز أسماء بعض أولئك الشعراء المشركين مثل كعب بن زهير الذي هجأ الرسول بأشعار فأهذرد منه . ولا يهاجني :

ألا أبلغنا عنى بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
سقيت بكأس عند آل محمد فأنهلك المأمون منها وظكنا
فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أى شئ صيب غيرك دلوكنا

ويقول ابن قتيبة الذى أورد هذا الشعر معقبا عليه : " فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا ، فتبعه ونذر منه . فكتب بجيرا إلى كعب يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا ما كان يهجووه وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا ابن الزمى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المغزوى ، وقد هبأ منه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فأقدم عليه ، فإنه لا يقتل أحدا أثناء ثأنها ، وإن أنت لم تعمل فأنج نفسك . فلما أورد عليه الكتاب خاف على نفسه الأذى برحبها وأرجس من كان يحضره من عدوه . فقال قصيدته التى أولها :

بانت سماد قللى اليوم متبول (١)

وهذا الذى ذكرناه يدل دلالة قاطعة على أن الاسلام لم يحارب الشعر وقد تنبه بعض القدماء لهذه الحقيقة فأخذ يفند آراء من يقولون بأن الاسلام يحارب الشعر ، صرد على من يعيب أنصهر بوجه عام . فنه جيل لها قال : " نعم ، وكيف ربهت " لان يعطى " جوف أحدكم قبحا فبهه خير له من أن يعطى " شعرا ، ولهجت به وتركته قوله صلى الله عليه وسلم : " ان من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسمرا " وكيف نصبت

(١) الشعر والعشرا ، مرجع سابق ذكره ص ١٤١ - ١٤٢

أمره صلى الله عليه وسلم يقول الشعر ، ويعد عليه الجنة ؟ وقوله لحسان
" رقل روح القدس معك " وسأعه له ، واستشاده أياه ، وطمعه صلى الله
عليه وسلم به ، واستصانته له ، وارتجائه عند ساعه .

أما أمره به فمن المعلوم ضرورة ، وكذلك سأعه أياه . فقد كسان
حسان وبهد الله بن رواجه كعب بن زهير يدحونه ، ومعهم منهم ومغنى
اليهم وأمرهم بالرد على المشركين (١)

وقد تعرض لهذه القضية من المحدثين الدكتور عبد القادر القط ، في
أن القرآن لم يهاجم الشعر كشعر ، وأنه إنما نفى عن الرسول صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم صفة الشاعر . مستشهدا في ذلك بأى القرآن الكريم الذى
لهذا الموضوع (٢)

ومن القضايا التى تثار حول الشعر فى عصر صدر الإسلام قضية تأشير
ذلك الشعر بالقيم الجاهلية أو القيم الإسلامية . فهناك من يرى اصطباغ
تلك الأشعار بالصبغة الإسلامية ، وهناك من يرى تأثرها بالثقافة الجاهلية
ففى قصيدة كعب بن زهير التى مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم
والتي مطلعها :

بانت سماد قلبي اليوم متبول متهم أثرها لم يقدح رسول

وهى القصيدة التى عرفت " ببانت سماد " ، يقول الدكتور ركس مبارك :
" وقد نظرت طويلا فى هذه القصيدة فلم أر غير ما قررت ، فهى قصيدة
جاهلية تغلب عليها قوة السبك ، ولكنها تكاد تخلو من روح الدين ، ولا غرابة
فى ذلك فان كعب بن زهير لم يمدح الرسول الا ليتجو من الموت ، ومن

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق السيد رشيد رضا ، مطبعة

صبيح وأولاده ، طبعة ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .

(٢) انظر فى الشعر الاتلاسى والامسى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩ - ١١

كان في مثل حاله لا ينتظر منه صدق الشئ... (١)

يقول كارول لينغون قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" وهو
يدوي الاصل مدح النسي سنة ٩ هـ بقصيدة شهيرة ألفها على مشي
عائد أهل البادية في مدح سادتهم فلولاً البيتان :

تستأن رسول الله أجد نسي والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيه مواعظ وعصم

والبيت الثالث :

إن الرسول انور بفضا* به مهتد من سيوف الله مسلول
لظنا أنه إذا أراد قائد أو سيداً من قومه لا نبيا جليلاً أنى يد بين جديد*
فشان ما بين أسلوب هذه البردة البدوية وبين المعاطف والعبارات الدينية
التي تتطلى بها بردة الشيخ البوصيري* (٢) يرى الدكتور عبد القادر القط
أن الاثر الاسلامي في قصيدة كعب ليس الا "لغات يسيرة" اقتضتها
بيعة الموقف ، وضرورة الاعتذار ، ولا تسمى "من احساس حقيقي بالقيم
الاسلامية الجديدة" (٣)

ومع ذلك فلا بد من الاعتراف بأن شعر هذا العصر تضمن كثيراً كثيراً
من القيم والمعاني الجديدة التي جاء بها الاسلام ، وأن الشعراء المسلمين
أثروا بها ، ولكن المخضرمين منهم عجزوا عن التكيف مع الوضع الاسلامي
الجديد فكتبهم المعنى ، فذلت عليهم القيم والتقاليد الجاهلية ، لانهم
شأوا نشأة جاهلية ، وكفى كثير منهم كحسان شاعر خائن فيها إذ يقال

(١) دكتور زكي مبارك : الدلائل النبوية في الادب العربي ، منشورات المكتبة
العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٣٥ ، ص ٢٥

(٢) تاريخ الادب العربية ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ، ص ٢٠

انه قضى سنتين عاماً في الجاهلية ومثلها في الاسلام : يقول ابن قتيبة :
 " وفاض في الجاهلية سنتين سنة وفي الاسلام سنتين سنة ، وما تخلص
 خلافة معاوية ، وحسب آخر عمره ... (١) فلم يكن من اليسر عليه أن يتخلص
 من القيم الجاهلية التي أصبحت جزءاً من حياته لفترة طويلة . وقد وضع
 هذه الحقيقة الدكتور كسي مبارك بقوله : " ... ما أتى بعد شعر الاعشى
 بشعر كعب شعر حسان بن ثابت ، وهذا الرجل كان أكثر شعراء الرسول ،
 ويمتاز بالصدق والأخلاص ، ولكن شعره على قوة روحه لا يكاد يضاف إلى
 الدائش النبهة التي تدرسها في هذا الكتاب ، فقد كان يدع الرسول
 ويقارع خصوصاً على الطرائق الجاهلية ... (٢) ... فهو يتخذ من
 الرسول ومدح أهله مثلاً لما عهد اليه من القارة والملاحاة ... (٣) ويقول
 يحيى الجوهري عن أسلوب حسان في قصائده الإسلامية : " ... ما
 ما تكون قصائد حسان مثلاً - المثل الرسمي لشعر المسلمين - مقلدة في
 ذكر فتون الجاهلية ، من فخر وحمار وهجاء ... وصف ، فإذا ما تناولت أمراً
 إسلامياً نجدهم الشاعر أن يذكر الرسول ، أو الكتاب ، أو الجهاد ، أو الخلافة
 أو الهدى ، ثم سرعان ما يتخلص إلى معان جاهلية عامة ، ومن فخر
 وهيبية وحسن بلا ... فكان الذين يأتي ذكره استهلالاً لقصائد أختاماتها
 أو الصريح بالمعنى الديني مرة سريعاً في بيت أو أبيات ... (٤) "

وهذا كله يدل على أن الأثر الديني الإسلامي لشعر حسان أثر
 شليل . نرى أن أساذنا الدكتور شوقي ضيف يرى غير ذلك . إذ يقول :
 " ولعل في كل ما قدمنا ما يدل على فساد الفكرة التي شاعت بين الباحثين
 عرباً ومستشرقين من أن الاسلام لم يترك أثراً عميقة في نفوس المخضرمين ،

(١) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥

(٢) الدائش النبهة ، مرجع سابق ، ص ٢٩ (٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠

(٤) الدكتور يحيى الجوهري ، شعر المخضرمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة ٢
 ١٩٨١ ، ص ٣٥٠

وخاصة أهل البادية ، فقد نفذت أشعته النيرة الى قلوبهم جميعا (١)

وهناك فرق - في رأينا - بين التأثر بالاسلام - وبين القدرة على
التعبير عن ذلك شعرا في لغة وسور وبسائر جديدة تبع من قيم هذا
الدين الجديد ، وبين وجود التأثر بالاسلام والاعتان به ، شعرا - صدر
الاسلام قد آمنوا وتأثروا بالاسلام ، ولكنهم لم يبرزوا هذا التأثر في
أشعارهم بصورة فنية تتواءم جلالا وروعة مع عصورهم للقيم الجاهلية
التي كانت سزا من حياتهم لفترة طوله - ولعل هذا ما جعل الدكتور
عبد القادر القط يرى في مياغة المعاني الاشتراكية في قصائد حسان
ابن ثابت نظما وسهولة وثقافة في الرضاة بالقياس الى شعره الجاهلي ؛
* والشاعر في هذه الابيات - "لم يصل بعد الى موهبة الاسلامي -
يشتم على طريقته في المقدمة مختلطا بشعوره الجاهلية في لغته
وأسلوبه ، فإذا انتهى الى الحديث عن المسلمين تغيرت لغته وشاع فيها
كثير من الالفاظ الاسلامية ، وحذف ما في أسلوبه من رصانة وتماذك ، وأصبح
معه أقرب الى * نظم * المعاني الاسلامية منه الى المعنى
السموي :

يرسل أمين الله قتيلا - روح القدس ليس له قتيلا
يقال الله قد أرسلت عبدا - يقول الحق ان نفع البلا
شهدت به قدوموا مدقوه - نقلتم : لا تقوم ولا تشاء
وقال الله قد يمرت جندا - هم الانصار عرضها اللقا *

والحق أن هذا النهج يطرد في أغلب شعر حسان الاسلامي ،
فيأرجح شعره بين الأسلوب الجاهلي في صور ولغته ومعانيه ، وأسلوب
لا يمكن أن نسميه اسلاميا بالمعنى الصحيح ، وإنما يستخدم الشاعر فيه

(١) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٧٦

بعض اللفاظ القرآنية والمعاني الدينية وتطبل فيه من " المعجم الشعري " الجامعي مؤثرا " البساطة " التي قد تنهس أحيانا إلى النظم والركابة (١)

والشعراء الفحول الذين بقوا على قيد الحياة بعد بعثة الرسول عليه السلام ، قتلهم ، وهم لبيد الذي أسلم يقول ابن قتيبة : " وأدرك لبيد الاسلام ، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم . ثم قدم لبيد " الكوفة ونسوه ، فرجع نسوه إلى البادية (بعد ذلك) ، فأقام لبيد إلى أن مات بها ، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب . ويقال أن وفاته كانت في أول خلافة معاوية وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .

ولم يقل في الاسلام إلا بيتا واحدا . واختلف في البيت ، قال أبو اليقظان هو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى كمانى من الاسلام سريلا

وقال غيره : بل هو قوله :

يا ناصب المرء الكريم كنفسه والمرء يملحه الجليبي الصالح

وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنشدني (من شعرك) قصرا سورة البقرة ، وقال : ما كنت لأقول شعرا بعد إذ غامنى الله (سورة) البقرة ، وآل عمران ، فزاد عمر في عطائه خمسمائة (درهم) ، وكان الفين وكما يتضح من قول ابن قتيبة السابق ، لم يقل لبيد شعرا بعد اسلامه .

والاعشى ، الذي أراد أن يعلم : " وكان جاهليا قديما ، وأدرك الاسلام في آخر عمره ، ورجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم ، فقبل

(١) في الشعر الاسلامي والأموي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

له : انه يحرم الخمر والزنا ، فقال : انتعش شهما سنة ثم أسلم ، فمات قبل ذلك بقرينة الإمامة * (١) وقد اعترضت قريش التي أرجو بها أن يسلم طريقه ، وذكرت له - ليعدل عما هو مقدم عليه أن الاسلام يحرم الخمر والنساء ، أو الاطهين على حد قولهم ، وأغروه بالعدول عن اسلامه بأن أعطوه مائة من الابل على أن يرجع عامه هذا ، فان انتصر محمد عليهم في العام القادم عاد اليه فأسلم ، وان هزم أو انتصروا هم عليه ، كان فيما أخذ من الابل عوض عن لقاءه * (٢)

وقال انه مدح الرسول بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألم تدعني عيناك ليلة أرمدا .. وستكما باتت السليم مسهدا

وهي قصيدة يشك في نسبتها اليه * وقال انه سقط من فوق بعيره وهو عائدا بما أعطته له قريش فوق عنه ومات سنة ٥٧ هـ .

وأما الخطيئة فظل ينظم الشعر كما كان ينظمه في العصر الجاهلي ، فهو يمدح ويهجو ويأخذ في أغراض الشعر وكان شيئا لم يحدث ، وقصته مع الزرقان بن بدر مشهورة (٣) ويقول عنه صاحب الأغاني ميموا خلقه ، وكانته كشاعر ، ودينه ، وهذا الأخير يوهنا لانه ارشد عن الاسلام ، وهجا أبا بكر الصديق رضي الله عنه : لا .. وهو من فحول الشعراء ، ومقد ميهم وفصاحتهم ، متصرف في جميع فنون الشعر من الديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد في ذلك أجمع ، وكان ذا شرة ومغف ، ونسبه بعد الفج بين قبائل العرب . وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين ، وهو مخفصر أدرك الجاهلية والاسلام . فأسلم ثم ارتد

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥

(٢) انظر غاميل ذلك المرجع السابق ، ص ٢٥٧

(٣) الأغاني ، ج ٢

وقال في ذلك :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فما العباد الله ما لا يكر
أبوتها بكرا إذا ما دعاهم وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
يكنى الحظيئة أبا مليكة ، وقيل إن الحظيئة غلب عليه ، ولقب به لقصره
وقربه من الأبي . (١)

ومثل الحظيئة وقد اتخذ الشعر حرفة به ، لا بد أن يمدح ويهجو ،
ولحق في طلب العطاء ، يهجو من لا يعطيه ، فما جعل صاحب الأمانس
ياصق به كثيرا من النفاثين ، فيقول : " ... كان الحظيئة جعلا ...
ملحفا ، دنى النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر
رث الهيئة ، مغرور النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول في شعر
شاعر من عيب إلا وجدته ، ولما تجد ذلك في شعره . " (٢) ولكن
الدكتور شوقي يرى رأيا آخر في أخلاق الحظيئة يرى أن الرواة بالغوا
فيها وصفوه به : " والحق أن الرواة بالغوا في اتهامه البخل وندم
النفس ، كما بالغوا في اتهامه بفساد الدين ، قد يكون رقيقه ولكن
ليس فاسده ، فقد كان يستعزه في الهجاء بشهادة لسانه كما قد يشا
ونراه في مدحه يكثر من ذكر جزاء الله لعمد وجهه على ما يقدم له من سره
على شاكلة قوله في بعض مدحه :

فله جزاء الله خيرًا من أخى ثقة وليهد بهدى الخمر را شهاديها
قد يمتثل المدح بالثناء على الله في مثل قوله :
الحمد لله أنى في جوارفتي حامى الحقيقة نفاع وشرار
وقال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتا شدا أصدق من بيت الحظيئة :

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٧

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله والناس

ولعل في ذلك ما يدل على حسن اسلامه * (١) يرى الدكتور عبد القادر القط رأيا آخر في الحظيئة ، اذ يرى أنه لم يتأثر بالاسلام تأثرا يذكر ، وأنه مضي يقول الشعر كما كان يقوله في الجاهلية * * * والحق أنه قد سلك سلك الشاعر الجاهلي بقية حياته في الاسلام ، فعلى يمدح ويهجو ويكسب شعره مستغلا بعض الخصومات القبلية التي كانت ما تزال سائدة حينذاك * وبذلك لم يتأثر تأثرا يذكر بروح الاسلام أو أسلوب القرآن أو لغة العصر * التي كانت قد بدأت تجرى على ألسنة الشعراء والنطباء ، وإذا استثنينا أبياته المعروفة في استعطاف عمر لكى يخرج من السجن ، وبذمة أبيات أخرى متأثرة في ديوانه ، في المدح والحكمة ، لما رأينا اختلافنا واضحاً بين شعره في الجاهلية وشعره في الاسلام * فبنا الفريدة لديه يجرى في كثير من الأحيان على المثل المألوف من وقوف على الاطلال أو نسيب أو وصف رحلة ، ثم خلوص للممدوح * وهو في وصف الرحلة والناقة يستخدم لغة الشعر الجاهلي وأوصافه وتشبيهاته ومجازاته حتى اذا انتهت إلى المدح رقت عبارته أحياناً وان لم يجرى * ينسى * جديد * (٢)

يحدد الدكتور يحيى الجيتوى بثلاث ثلاث للشعر في صدر الاسلام وهي : الدينية ، وكس ، والبادية ، يرى أن شعر الديانة كان يمثل المعاني الاسلامية خير تمثيل ، وأن عبارة * الشعر الاسلامي * اذا صح إطلاقها على شعر هذه الفترة ، فإنها لا تنطبق الا على شعر الديانة دون غيره من أشعار تلك البعثات المختلفة ولكنه يستدل قائلاً ان ذلك الشعر لم يكن له من القيم والمبادئ الدينية على الوجه المرجح ، لأن

(١) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٩٩

(٢) في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

الشعراء لم يخطئوا التخلع من القيم الجاهلية القديمة وأن ملوكهم
وتصويرهم لم يتأثر بالاسلام على نفس المستوى من التأثر بالقيم
الجاهلية ، وإنما اقتصر تأثيرهم بالاسلام على استعمال ألفاظ وتعبيرات
دينية ، أو ذكر أحداث اسلامية أو تضمين آيات قرآنية ، وهذا يعد
نقلا لا ابتعا (١)

أما البيئتان الاخرتان وهما مكة والبادية ، فلم يكن أثر الاسلام في
شعر شعرائهما واضحا بطبيعة الحال ، لخصوصتهما للدين الاسلامي
وظل شعرهما يمثل الاتجاهات الجاهلية : " ... لقي بقى شعر المخضرمين
في غالبه محافظا على نطع الجاهلي واسلوبه ، متمسكا بالثالثة التي كان
يصدر عنها الشعر قبل الاسلام فهو يعامته يتسم بالاجاز وقوة التعبير
وجزالة اللفظ " (٢)

هتتم في ذكر الشعر الجاهلي الذي الحديث عن السمة العامة للشعر فتعنى
صدر الاسلام بقوله : " ... أما من حيث عموم الشعر ، فالشعر الجاهلي
هو السائد في أماليب الشعراء ، فإذا نظرنا في قصيدة " البردة " يانث
سعاد " وهي من القصائد الهامة في الاعتذار للرسول وديحه عليه السلام
وكذلك الحال في مدح كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وهذا يعنى
أنه لم يحدث تطور واسع في القصيدة العربية على عهدى الاسلام ، وهذا
أمرو طبيعي ، لان عصر المخضرمين عصر انتقال من حياة العرب القديمة
الى حياتهم الاسلامية الجديدة ، وفي عصر الانتقال لا تبرز الطواهر
الجديدة في الفن الا بعد فترة تستقر فيها النفوس وتفتح الازهار
على متطلبات العهد الجديد . ولذلك فليس غريبا أن يكون الطابع الجاهلي

(١) شعر المخضرمين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤٨

هو الذى يصبح شعر هذا العصر ، بل ان السروح القبلية ظاهرة فى شعر الشعراء المسلمين أنفسهم على الرغم من أن الاسلام جاء ليخلص من هذه السروح ، ويضع فى نفوس القوم مفهوم الامة مكان القبيلة . . . (١)

وهكذا نرى أن الباحثين - فى الغالب - يرون ضعف الشعر فى صدر الاسلام لأسباب حضارية ، تتعلق بالعجز عن التكيف الكامل مع الوضع الجديد الذى جاء به الاسلام ، أو لأسباب أخرى كأنشغال العرب بالفتوح أو لعجز الشعراء عن الوصول الى مستوى التعبير انقبرأنى ، أو لان الاسلام حرم القول فى أمور تتأقضى مع مبادئه الاخلاقية . ولكن تلك الآراء وأماليها ما تزال محل أخذ ورد بين الباحثين فالدكتور شوقي شيف يرفض ما ذكره القدماء بشأن ضعف شعر حسان ، حيث ذكرنا أنه كان فحلأى الجاهلية لمعنى شعره فى الاسلام إذ يرى أن شعره ظل قويا فى الاسلام كما كان قويا فى الجاهلية ، يرى أن الاسلام فى شعره واضح (٢)

ومن قال من القدماء بضعف الشعر فى عصر صدر الاسلام ، ابن سلام رد ذلك الى انشغال العرب بالجهاد : " جاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهم عن الشعر روايتهم فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، وأطمأنت العرب بالانصار ، راجعوا رواية الشعر ، لم يؤمؤلوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك بعد ذلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير . . . (٣) أو لان الشعر موضوعه الشر وما دخله الخير الا ضعف فبواعث الخير التى جاء بها الاسلام أضعفت الشعر ، ويضربون المثال بشعر حسان (٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨

(٢) العصر الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٥

(٤) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥

الاعشى ميمون بن قيس

الاعشى هو ميمون بن قيس بن بكر بن وائل ، وكان أعشى ، وكثير
أبما بصير ، وكان أبوه قيس يدعى " قتل الجوع " ، وذلك أنه كان قسى
جبل لا خيل فبارا ، فقامت صخرة من ذلك الجبل ، فسد لحم الفارس ،
فسات فيه جوعا . (١)

وهو أحد تحول الجاهلية الاربعة : زهير راسخ ، القيس والاعشى
والاعشى . وقد اختلف القدماء فى هؤلاء الاربعة ولم يلقوا على أيهم
أشعر . وقال أصحاب الاعشى ، هو أكثرهم عرضا ، وأذمهم قسى .
والشعر ، وأكثرهم طولة جيدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء ، وفخرا ووجاهة .
كذلك عدد . (٢)

ولكن ابن سلام يعلق على ذلك القول ، بقوله : " وكان أول من سأل
بشعره ، ولم يكن له - مع ذلك - بيت تارة على أضياء الناس كالبهائم
أصحابه . (٣) " . يسمى الاعشى " صناجة الحبيب " لأنه أول من ذكر المنهج
فى شعره فقال : *

وسنجيب لصوت المنهج تنعمه إذا ترجع فيه الائمة الفضل

وكان الاعشى يمد على ملوك فارس ، ولذا أكثرت الفارسية فى شعره .

فلا تهم من ثمانيا وثمانيا وثمان عشرين وأثني عشر
من قهوة بانت بفارس حقيوة تدع الفتى ملكا بهيل نصرها
بالجلمان وطيب أرداسه بالوون يفرط لى بكر الإصمعا
بالنابى ترم زرقط ذى بخيه والعشج يكي شجوة أن يومعا (٤)

(١) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧

(٢) ، (٣) طهطا تحول الشعراء ، مرجع سابق ، ص ٦٥

(٤) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨

(٥) وقد أراد الأعشى مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة الكنى
يشك في صحة نسبتها إليه طه حسين ، كما يشك في كثير من شعبي
الأعشى ، فهو يشك في قصيدته في مدح المطلق الكلاسي ، وهي من
أجود قصائده ، وغيرها من شعر الأعشى الذي لا يطعن إلى أكثره ، بل
يرى هذا الأكثر تحيولا عليه ، فهو يشك شكاً شديداً في كل ما يضاف
إلى الأعشى من مدح ، لأن الدافع إلى وضع هذا الشعر هو المصيبة (١)
والخبر رأي في الأعشى بقوله : " خلاصة رأينا في الأعشى أنه شاعر
عاش في آخر العصر الجاهلي ، وتصرف في فنون من الشعر أظهرها
الغزل والخمر والحب ، ومدح طائفة من أشراى العرب ، ولكن المصيبة
استفادت هذا المدح ، ولعله كان قد ضاع فأضافت إليه مكانه مدحاً
كثيراً للبهنيين والهميين ودخا قليلاً للفرسيين . ولا شك في أن بهمن
هذا الشعر الذي يضاف إلى الأعشى مقطوعات وأبياتاً يمكن أن يكون
الأعشى قد قالها حقاً ، ولكن تمييز هذه الأبيات والمقطوعات ما يحيط
بها من التحول المكثف ليس بالشئ البسيط . (٢)

وهكذا يلقى طه حسين شعر الشاعر معتداً على نظريته في الانتحال
ويلقى الصحيح القليل - حسب رأيه - لأن تمييزه من المتحذل ليس بمهلاً
ولا ميسراً .

وسمع ذلك فنعود إلى مناسبة القصيدة ، وهي محاولة الأعشى مدح
النبي عليه السلام وكيف خشيت قريش عاقبة ذلك فلقبتهم ، وحاولت أن تنته

(٥) هذه القصيدة يرى بروكلمان أنه لا منه أنها بعميدة الأعشى ، ويرى طه
حسين أنها منجولة ويؤيده في هذا الرأي فؤاد الهنائي ،
انظر : بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ترجمة
الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ ، وانظر :
طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، طبعة ١٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ،
ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ - (٢) انظر في الأدب الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٤١

عن ذلك ، فذكرت له أنه يحرم عليه الاطمين : أي الخمر والنساء -
كما يحول الرواية ، ويقال كذلك انهم جمعوا له مائة من الابل على أن
يعود عامه هذا ، فان انتصر محمد عاد ودحه في عامه القساد ، وان
انتصروا عليه كانت له عوضا عن ذلك ، ويقال انه في أثناء عودته مد خط
من فوق بعميره فصارت . وسنورد هذه القصيدة .

القصيدة :

- ١ - ألم تنصحن عيناك لبلبة أرمدا
 - ٢ - وما ذاك من عشق النساء وانفى
 - ٣ - ولكن أرى الدهر الذي هو خاتمر
 - ٤ - شيا وبشي وبافتقار وشهوة
 - ٥ - وما زلت أبغى المال مذ أنا بالغ
 - ٦ - وابتدل العيس المراقيل تغطي
 - ٧ - فإن تبالسى بنى فبارب سائل
 - ٨ - ألا كها السائلى : كهن يمتك
 - ٩ - فأما إذا ما أولجت ، فنرى لها
 - ١٠ - وفيها إذا ما هجرت عجزت
 - ١١ - أجد ترجلها نجا وراجمت
 - ١٢ - فألهمت لا أرض لها من كلاله
 - ١٣ - متى ما شاخى عند باب ابن هاشم
 - ١٤ - نعى يبرى ملا تون ، وذكره
 - ١٥ - له عدقات ما تنف وبناضل
 - ١٦ - أجدك لم تسمع وما أجد
 - ١٧ - إذا أنت لم ترحل بزاد من الغنى
 - ١٨ - تدمت على ألا عيون كتله
 - ١٩ - فإياك والميتات لا تأكلها
- وصادك ما عاد الملهم المصنف
تاسيت قليل اليوم خلعة مهتدا
إذا أصلحت كفتاى عاد نأه
فلله هذا الدهر كيهن نسر دأ
ولميدا وكهلا حين شمت وأكردا
ساقية ما بين " البخير " فخر خدأ
حفى عن الأعنى به حيث أصفكدا
فإن لها فى أهل بشرى موصفكدا
رقبين " جدما " لا يغبى وفرقكدا
إذا رطلت حياء الظهيرة أمهكدا
يدأ خناقا لبتا غدير أحكردا
ولا من حفى حتى ترور محمكدا
ترحى وطفى من فواخله بكدا
كفار لعمري ، فى البلاد وأنجدا
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
نعتى الإله ، حين أوجس وأشهدا
ولا قبلت بعد الموت من قد تنزدا
وأنتك لم ترصد لما كان أرمدا
ولا تأخذن سهما حده لضمدا

- ٢٠- هذا النصب المنسوب لا تمكثه ولا تعبد الاوثان والله فاعبدوا
٢١- ولا المائل المحروم لا تمكثه اعاقبة ، ولا الأسير المقيد
٢٢- ولا تسخرن من بالقس ذي ضراوة ولا تحسبن المرء يوما مخلصا
٢٣- ولا تعرن جارة ان سرهما عليك حرام ، فاعكسن أو تاهبا (١)

الشرح :

- ١- المسد : الذي لا يستطيع النوم وهو رغب فيه . أرمد : اسم مكان
عادك : عاودك وانتابك . تفحصي : تتم . السليم من لدغته الأفعى
يقول الشاعر مخاطبا صديقا خيالها له ، أو مخاطبا نفسه : ألم تتم
لهبة أرمدا وظللت مستظلا مسهدا ، كما يفعل من لدغته الأفعى
اذ يظل مستظلا من شدة الألم ، أو يظل أهله يفتشونه حتى لا يفتك
به سمها . أو عاودك وانتابك ما يصيب السليم من الألم فترة بعد
أخرى والمعروف أن الشاعر يوجه الخطاب الى نفسه في هذا البيت .
- ٢- وما ذاك الصبر الذي أصابني بسبب هوى النساء وشققن فاني تاسيت
أو حاولت أن أنسى خلة مهدد . والخلة : الصديقة أو العشيقة ، مهدد
اسم مكان .
تاسى : نكس بالإنسان لأنه ما زال عاشقا لها ولكنه لا يملك إلا أن
يتامس .
- ٣- خافر : الخثر : الغدر والخديعة أو أفتح الغدر . والخائر : الغادر
ولكن مسدى بسبب فعل الدهر الغادر الذي لا يستطيع إصلاح شيء
إلا أفسده على .

(١) ديوان الأعشى ، الشركة اللبنانية للنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٨ ،
ص ١٠٥ ، ١٠٦

٤ - معجب من تفسير أحوال الدهر مع الإنسان فهو شارة يكون شامها
وطورا يصير شامها ، ومما يكون غيبا ، ومما آخر يكون لقيرا ، وهذا
شيء يختار الشاعر منه ، فالدهر يتغير ولا ثبات لأمره .

٥ - الهاج : ولهدا : الولود ، والمهي
والكهل : والكهل من وفطه الشهب رأيت بهاله أو من جاوز الثلاثين
أو أربعين وثلاثين إلى إحدى وخمسين . وأسرد : الأمد : الشاب طير
شاربه ولم تهت لحيته .

ويتحدث الشاعر عن طلبه للصال وهو شاب يافع وهو صبي وكهل ،
وحين علا الشهب رأسه ، ويلاحظ أنه لم يرتب مراحل السن في البيت
خوضا لغزوة الشعر . وكأنه يأتى بمراحل العمر مختلطة متداخلة .

٦ - ابتذل العيس : اتخذ بعضها بدلا من الآخر ، والعيس :
، ولعل الصحيح ابتذل العيس : أي يچود بها عطا من
يذله يذله أعطاء وچاد به . أو من الابتذال الذي هو ضد الصيانة
تفطى : تسرع ، والافتلا : الإسراع .
يقول الشاعر أنه لا يهون جماله عن السير السريع بقطع الدافة
بين النجير ومرغد .

٧ - الحطى : وحفى كفى : العالم يتعلم باستقصا والبلح فى سواه .
أصعد ، أصعد : أتى مكة ، وأصعد فى الأرضى ، وأصعد فى الوادى
انحدر .

يقول مخاطبا محبته ، فإن تسألنى عنى فكشرون يسألون عنى مطلقه
وهم حريصون على أن يعرفوا أين ذهبت .

٨ - هم : هم : قنعد . والتهم : التوى والتعد .
بأن يسألنى عما قنعد ناقتى ، أنى أقول لك أن لها موعدا فسي

بشرى (الدبشة النسيمة) •

٩ - أولج : الدلج : محركه والدلجة بالضم والفتح السير من أول الليل وقد أذلجوا ، فان ساروا من آخره فاذلجوا بالتشديد • وهذه الناقفة اذا ما سارت من أول الليل فنرى لها رقبته من نجوم السماء مما الجدى وقرقند •

١٠ - هجرت : سارت في الهاجرة ، عجز فيه : قلة الهالة لسرعته • أي به . هذه الناقفة اذا ما سارت في الهاجرة لا تهالي بحرهما لما تشتم هي به من سرعة • الاصيدا : العائل العنق ، والرافع رأسه كسيرا والملك ، أي هذه الناقفة سريعة حتى في شدة الحر التي لا يظلمها الحياء •

١١ - أجدت : أجدها أن يجد

نجا •

خناقا : خفف البعير بخنقا خناقا : قلب في مسيره خفيده السبي وحشية أو كفى أنفسه من الزمام ، أو هولين في أرمائه ، أو هو المالة رأس الدابة التي فارسه في عدوه • جعل خائف وخشوف • أجرد : ناقفة حريص ومجاد ، ومخارطة بينة الحراد • والجرد : داء في قوائم الأهل وفي الهدين أو يس في عصبها من العقاب • يصف ناقته بالسرعة مع لهن في السير ، كما يصف حركة سيرها •

١٢ - ألقت : أقسمت • لا أرشى : رشى له : رحمه وبق له •

من ثلاثة : من أمها • أو كلال •

حفي : رقه القدم والخف والحافر •

قد أقسمت - ألقتها الناقفة - أي لن أرى لك أو أركبك بسبب ما نالك من تعب أو خفي في طريقك إلى محمد عليه السلام حتى تلقيني إليها •

١٣ - أناس : الناقة : جعلها تهرلك • ابن هاشم : النسي على الله عليه وسلم • ترحى : أراح الله العبد : أدخله في الراحة ، وأراح رجعت إليه نفسه • فواغله : الإيهادى الجنة أو الجنة ، بمعنى العطاش .
المظلم • بدا : الفضة والاحسان والقوة •
عندما تتركين عند بيت محمد عليه السلام تراحين ، وثقى من عطائه العظيم قوة ونعمة ، وهو ان كان يجعل الناقة هي التي تنطق العطاش والنعمة من النسي فأنه يقصد نفسه وهو هنا يقصد النبي بالكسب ومعرفة الأصل ومن ثم يدعوه بإبن هاشم •

١٤ - وذكره : الذكر الميت والنبأ والشرى •
أشار : بلغ الأماكن السهلة أو المنخفضة ، وأتجد : بلغ الأماكن العالية والجميع بين أشار وأتجد يدل على بلوغ صيت الرسول إلى كل مكان فالكان أما منخفض أو مرتفع ، وصيته بلغها فكان بلغ كل الأماكن •
هذا النبي يرى ما لا ترون فهو أحمد منكم بصرا ، فهو يحصل رسالة السما تهرله الطريق وتره الحق ، وصيته بلغ كل مكان •

١٥ - صدقات : الصدقة : ما أعطيته من ذات الله •
تغيب : من قولهم : فلان لا يفتينا ضاروه : أي يأتينا كل يوم نائل : عطا •
هذا النبي كريم كريما واسعا فمطاش ، لا يخطع أيدي بل من عطا متوا •
ولا يمنع كرمه أن يعطيك اليوم ثم تميد فبعطيك غدا •

١٦ - الوصاة : وأوصاء ووصاء توصية : عهد إليه ، والاسم : الرسالة والوصية والوصاية • ويذكر اسم تسمع وصية محمد ، - وأعلمه بقصد بيت النبوة عباد الله وحده ، والشهادة بأن محمد رسول الله - حين أوحى أنشأ بذلك ، ودعاهم إليه ، وأشهد على أنه بلغ رسالة ربه •
يقصد بالوصية ما يورد في الآيات التالية •

١٧ - ١٨ إذا لم ترحل عن هذه الدنيا يزداد من الطوى وخشية الله ، شمس
لحيته بعد موتك من تزييد (وخير الزاد القوى) تدمت على انك لم
تكن فيها مثله ، فأرصدت : أعددت لما كان أعد له من المعسل
المالغ والقوى .

١٩ - القصد : قصد يقصد قصد اشق العرق ، وكان بعضهم يقصد الناقة
بمعنى ضيقه من دسها .
فأرا الميتات لا تأكلنها ، وهو كما تعرف من تحريم الاسلام لاكل لحوم
البيته والقصد ، كتابة عن تحريم شرب الدم .

٢٠ - النصب : كل ما عيّد من دون الله ، المنصوب : المرفوع الذي أقامه
الكافر . لا تمكنه : تمك : تعيد وانقطع لله تعالى عابدا .
ولا تعيد تلك الامنام والاوشان التي اقيمت ، ولا تعيد الاوشان واعيد
الله وحده . وهذا ما دعا اليه الرسول الكريم .

٢١ - وأقم الصلاة في الضحى والعشى أى في كل الاوقات ولا تحمسد
الشیطان ، ولكن أحمد الله ، فهو النعم المتفضل .

٢٢ - العاقبة : آخر كل شيء .
ولا تترك المسائل المحروم دون أن تعطيه من مالك محسنا اليه ولا تؤجله
الى وقت آخر ، فليكن الاسير المقيد ، أو يمل باطلاق سراحه .

٢٣ - خراوة : يلهج بالطلب - ربما لشدة حاجته
ولا تسخرن من الفقير الهائس الذي يلهج في الطلب العيون ، ولا تحسبن
نفسك خالدا في هذه الدنيا ، بل سموت تاركها كل شيء فاعمل لاخرتك .

٢٤ - سرها : يكاحها . انكحن : أى تزوج
تأيد الرجل طالعت عرشه ، وقل أريه في النساء .
لا تخزن جارئك تهني ارتكاب الفاحشة معها ، فالاسلام يحرم هذا عليك .
فأما أن تتزوج ، وأما أن تفسى ففى عرشك أبدا بعيدا عن الفاحشة .

ليبيد

هو ليبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب الشاعر المحسن المشهور
وهو شاعر مضموم ، وهو القائل :

والحد لله اذ لم يأتني اجلى حتى لم يمن الاسلام سهلا
وقال انه كف عن قول الشعر في الاسلام وقد ربح عصره من الخطاب من عطائه
لذلك . وله في الحكمة الاقمار الثلاثة :

الحكمة

- ١ - ألا تسألان المرء ماذا يحاول
- ٢ - حياته ميثوقة بمبهاه
- ٣ - اذا المرء أسرى ليلة ظن أنه
- ٤ - فقولاً له ان كان يقسم أمره
- ٥ - فتعلم أن لا أنت تدرك ما مضى
- ٦ - فان أنت لم تعد فك نفسك فانتسبه
- ٧ - فان لم تجد من دون عدنان باقيا
- ٨ - أرى الناس لا يدرون ، ما قدر أمرهم
- ٩ - ألا كل شيء ما خلا الله باطل
- ١٠ - وكل أمرى يوما سيعلم معييه

أنحب لمضى ، أم ضلال وباطل
يهنى اذا ما أخطأته الحاصل
قضى عسلا ، والمرء ما عاثر عامل
ألم يعطك الدهر ، أمك هابل
ولا أنت ما تحذر النفس وائل
لعلك تهديك القرون الاوائل
ودون معد فلتزعمك المواصل
بأي كل ذي لب الى الله واسئل
وكل نعيم لا محالة زائل
اذا كشفت عند الله المحاصل

الشرح

- ١ - يحاول : التوصل والتحصيل والجملة : الحذق - وجودة النظر والقدرة
على التصرف . التحب : التحب الموت والاجل والنفس .
- قضى نحيبه : واغاء الاجل : أي مات وقتل .
- اسألا الانسان ماذا يروم يطلب ويحاول الحصول عليه . هل يطلب الموعود
فيموت أم يطلب الباطل والضلال .

٢ - حياته : جمع حياته وهي المصيدة • وأخطائه : لم تصبه العاصيد
المعدة له المنتصرة في سبيله أي طريقه ، يعني إذا ما أخطأته الحيايل
يعني الإنسان يستطيع كل حال •

٣ - أسرى : سرليلا
إذا المرء أسرى من بلد إلى آخر أو من مكان إلى آخر ، ظن أنه نفسي
علاها ما جدا ، والمرء ما عاش ، أو ما ظل حيا لابد أن يعمل هكذا وهكذا •

٤ - يقسم أسره : قدره ، أو لم يدروا يمنع فيه
وصط : وعظه يحظه عظة ، وموعظة : ذكره ما يلين قلبه من الشواوب
والعقاب فأنعظ • أمك هابل : هبلته أمه : نكته
قولا له أن لم يكن يدري ما يمنع ، ألم يحظك الدهر ، فتصرف السي
المباداة نكته أمك •

٥ - وآل : نجبا
فتعلم أنك لا تستطيع إدراك ما فات ، ولا حذر من الشئ • ينجبك من
الغيباء أو الموت •

٦ - فإذا لم تعدك نفسك وتغترك الحق ، فانتسب أي اذكر نفسك ، أي
أباه وأجدادك لعلك تدرك أنهم ماتوا وأنك ميت مثلهم ، وهذا تكون
القرون المابقة قد هدتك إلى الحقيقة •

٧ - عدنان : أبو عرب الشمال • وزعه : كفه • ومعد أيضا ابنه
إذا كان من جاء قبل معد وعدنان قد ماتوا ومن جاء بعدهم كذلك حتى يوشا
فلنكفك عما أنت بمبيله العواذل •

٨ - كل ذي لب : كل عاقل أو كل صاحب عقل •
واسل : اتخذ وسيا إلى الله لعله يرضى عنه •

أرى الناس لا يعرفون صيرهم ، وكل ذي عقل يتوسل إلى الله ، ثم
يقول برفاه .

١٠ - وكل إنسان سيعلم نتيجة عمله في الدنيا إذ حوسب يوم
القيامة عند الله .

الحطية

لقب القبط به اما لانه كان قسيرا قريبا من الارض او * لانه شرط شرطية
بين قوم ، فقبل له ما هذا ؟ فقال : انما هي حطية ، فسمى بالحطية * (١)
وقد وصف بأوصاف كثيرة تصل الى حد الكفر ، بل قيل انه ارتد عن
الاسلام . وهو - في رأي أبي الفرج - أحد بخلاء العرب الاعمسة ،
وهم : الحطية ، وحميد الارقط ، وأبو الاسود الدؤلي ، وخالد بن
صفوان * (٢) يرى استاذنا الدكتور شوقي ضيف * أن الرواة بالغوا في
اتهامه بالخيل ودناءة النفس ، كما بالغوا في اتهامه بفساد الدين ، قد
يكون رقيقه ، ولكنه ليس فاسده . * (٣)

وقال انه : * * * كان هجا أمه وأباه ونفسه فقال في أمه :

تَحْسَى فاقمدي مني بهمسدا	أراح الله منك العالمينا
ألم أوجع لك البغضا مني	ولكن لا إخالك تعطينا
أغير بالآ إذا استودعي سيرا	وكانونا على المتدينينا
جزاك الله شرا من عجز	ولقناك العقوق من البنينا
حياتك ما علمت حبة سورا	وموتك قد يمر المالحينا

وقال لابيه :

لجناك الله ثم لجناك حقا	أبا ولجناك من علم وخال
فنعلم الشيع أنت لدى المخازي	وشع الشيع أنت لدى المعالي
جمعيت اللوم ، لا حيتك زكوى	رأب السفاهة والفكلال

(١) كتاب الاغانى ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٥٧

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٢

وقال لنفسه :

أَيْدِي شِفَايَ الْيَوْمِ إِلَّا غَلَفَا بِسُورَتَا أَدْرَى لِسْنُ أَنَا قَاتِلُهُ
أَدْرَى لِسْنُ وَجْهًا شَكْوَةُ اللَّهِ خَلَقَهُ قَبَّحٌ مِنْ وَجْهِ وَبَعْدَ حَامِلُهُ
... (١)

" وكان الخطيئة جابر الزريقان بن بدر ، ظم محمد جواره ، فتحويل
عنه الى بغيش فأكرم جواره ، فقال يهجو الزريقان ومدح بغيشا :

ما كان ذنب بغيش أن رأى رجلا ذا حاجة عاثر في مسكونه
جأرا لقوم أظالموا هون منزلته وغادروه مقيما بين أركان
ملوا قراءه وهرتته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع الكارم لا ترجل له غيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدي عليه الزريقان عشرين الخطاب رضى الله عنه ، وأنشد : آخر الأبيات
فقال له عمر : ما أعلمه هجاءك ، أما ترضى أن تكون طامعا كاسيا ؟ قال :
انه لا يكون في الهجاء أشد من هذا ، ثم أرسل الى حسان بن ثابت ،
فأله عن ذلك ، فقال : لم يهجه ولكن ملح عليه ، فحمله عمر ،
وقال : يا حبيبت لا تفتك عن أعزاض الصالحين ... (٢)

(١) الشعر والشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ وذكر بن سلام سبها آخر لفساد علاقة الخطيئة
بالزريقان فيقول : " وأرسل الزريقان الى امرأته أن أكرسى مشواه ، وكانت
ابنته ملكة جميلة ، فكرهت امرأته مكانتها ، فظهرت لهم منها جفوة -
وبغيش بن عاصم بن لاي بن شماس - أحد بني قريظ بن عوف ، ينزاع بوشند
الزريقان الشرف - والزريقان أحد بني بهدلة بن عوف ، وبغيش أرسل
الى الشرف من الزريقان ، وقد ناوأه الزريقان يبدنه حتى مساواة بسل اعتلاه
- فاعتم بغيش وأخسواه ، فاقصه وقربه ، فاعيد الخطيئة من الجفوة ، فدعواه
الى ما يند بها ، فأسرع ، فبوا بده فبسة ، ونسروا له وأكرسوه كسل الأكسرام
وشندوا بكل طلب من أكلاب حياته جلة من يرمى هجر ... " انظر لطقات الشعراء
... ص ١١٤ ، وانظر أيضا ص ١١٦ ينتج من هنا أن عروجة الزريقان والدمع
بن الكسري بغيشا ، مما الى هذا المدة الزريقان .

وقد نظم الابهات التالية مستطفاً عشرين الخطاب :

- ١ - أعود بجدك أنسى أمرو* سقتني الأعادي إليك السجلا
- ٢ - فأنيك خسر من الزبرقان أشد تكالا وأرجى نسوا
- ٣ - تعنت عليّ هذاك الطميك فان لكل مقام .. مقالا
- ٤ - ولا تأخذني بقول الوشاة فان لكل زمان رجلا
- ٥ - فان كان ما زعموا عاد قسا فسهلت نماسي اليك رجلا
- ٦ - حواسر لا يشكهن الوجسى يخفنن آلا ويرفعن آلا

وقال انه اعتذر لعشرين الخطاب بقوله :

" ماذا أردت لأفراغ بذي قنخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
أفقت كاسهم في قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله بالعصر

فريق له عسر وخلي سبيله ، وأخذ عليه ألا يهجو أحدا من المسلمين " (١)

شرح الابهات :

- ١ - السجال : جمع سجيل : البدلو العظيمة . أعود : التجرى . والعوذ : الالتجاء . ومثله المعياذ . بجدك : الجد بالفتح أبو الام وأبو الاب والحظ والبهخت والرزق ، والجد بكسر الجيم الاجتهاد في الامر ضد الهزل . انسى احتسى بجدك بالعصر أو التجسى . السى ما عرفته من جد واجتهاد في كل أمورك أن تغفوعنى ، فان الأعادي أعطوني سجلا من العطاء قبل أن أصل اليك وكأنه يتصل من ذنبه مدها أن الأعداء يوشايتهم قد سبقوه سجلا من الأذى والتمذاب .

- ٢ - التكال : العذاب : تكل به تكية : صنع به صنعها يحذر غيره أن يفعل

(١) الشعر والشعراء ، ص ٢٢٨

مثله . أرجى : الرجاء ضد الهوى ، أمل منك الخير وأتوقعه . أنه
بأعسر خير من الزرقان ، أشد منه تعذبا وتكيدا بالمصاة والمذنبين
وعطاؤك أقرب في الحدوث من عطاءه . يعني أن عسر أكبر من الزرقان .

٢ - تحسن على : ترجم وتزلف بي ، والحنان : رقة القلب
وحنانك : تحسن على مرة بعد مرة ، وحنانا بعد حنان .
الطهارة : الله سبحانه وتعالى . مقام : موقف ومناسبة . وقال : تولا
أرحمني بأعسر هذاك الله - وهذا دعاء منه للخليفة بالهداية -
فان لكل موقف مقالا يناسبه .

٤ - لا تأخذني : لا تعاقبني . والاخذ الإلقاء بالشعر والعقوبة .
الوشاة : جمع واش ، وهو من بمعنى يشتم لى مشول كحاكم أو وزير
أو ما شابهه ليقع به .
لا تعاقبني - اعتصدا على ما نقله الراسون اليك من أقوال كاذبة
فان لكل زمان رجال يقومون بأمره وأنت رجل هذا الزمان .

٥ - زعموا : زعم : قال كاذبا أو صادقا . والغالب أن تستعمل زعم على
الكذب . راجلات : ج راجلة : والراجلة من تسمي على قدميها فلا تركب
بحيرا أو حصانا أو غيرها .
سقت نمانى رجالا : أى سقت سبابا راجلات أى سرن على أقدامهم
اذ لا لاله ولهم .

٦ - حواسر : جمع حاسرة ، وهى الكاشفة عن رأسها .
الوجى : الحفى وأشد منه . وجى وجى ، فهو واج .
آلا : سرايا . يرفعن آلا : يرفعن سرايا
ويخفن آلا : يخفن سرايا خلفهن .

وهذا كتابة عن طول سيرهن في الصحراء حين يرين سرايا بعدد

سراي .

وسين جاسرات الراس خافيات لا يشككن الوجي : وهو ما يصيب

أقدامهن من طول السير . وهذا يدل على ما يلحق الشاعر من

عار لما يصيب نساءه من المتاعب ، كما يصير عا يصيبهن من ألم

وعذاب واذلال .

حسان بن ثابت

"هو حسان بن ثابت بن العنذر الانصاري ، يكنى أبا الوليد ، وأبنا الحسام . وأمه الفرعة " من الخزرج . وهي جاهلي اسلامي مقدم الاسلام الا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشيدا ، لأنه كان وكان يضرب بلسانه ريشة أنفه ، من طولها ، ويقول : ما يروني بدمي أحد من العرب ، والله لو وقعت علي شجر لخالقه ، أو علي صخر لثقله وعاشر في الجاهلية مئتين سنة وفي الاسلام مئتين سنة ، وسأله عن معاوية ، وعصى في آخر عمره . (١) وشك الدكتور شوقي في أن حسانا عاش هذه السن الطويلة وراحا سنا عظيمة فيقول " وهو يملكه في العمري اذ يقال انه عاش في الجاهلية مئتين سنة وفي الاسلام مئتين سنة أخرى ، وهي سن عظيمة ، قلل قيل انه توفي قبل الانبياء ، وقيل بل مئة خمسين ، وقيل بل مئة أربع وخمسين . (٢) ولكننا يمكن أن نخلس الي أنه كان من النعميين .

وقد عرف حسان بن ثابت بأنه لم يكن مخاربا ، ولهم يكن شجاعا . وما يدل على ذلك قصة مبيعة بنت عبد العطل في حجة الرسول عليه السلام واليهودي : والتي يوردها ابن هشام في " السيرة " : يقول : " كانت مبيعة بنت عبد العطل في " فارع " حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والمهيبان . قالت مبيعة رضي الله عنها : فمر بنا رجل من يهود . فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وتلعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهم بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في تحضر عدهم لا يستطيعون أن يصرقوا إلينا أن أغنا آت ، قالت : قتلت : باحسان (٣)

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٥

(٥)

(٢) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ص ٧٧

ان هذا اليهودي كما ترى يطبق بالحصن ، وانى والله ما آتته أن يبدل على عيرتنا من وراثتنا من يهود ، وقد نفل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل اليه ناقطه ، قال : يغفر الله لك يا ابنه عبد المطلب ما أنسا بهاحب هذا ، قالت : فلما قال لى ذلك ولم أر عنه شهقا احتجزت ثم أخذت تصودا ، ثم نزلت من الحصن اليه ، ففرسته بالمسود حتى قطنه ، قالت : فلما فرغت منه رجعت الى الحصن . فقلت يا حسان : انزل اليه فاسلمه فانه لم ينفخنى من سلبه الا أنه رجل ، فقال ما لى بسلبه من حاجة يا ابنه عبد المطلب . (١)

وقال : ان حسانا اشترك فى حادثة الافك البقى ربيبتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وكما يذكر بين هشام فى السيرة ، فان حسان قد أقيم عليه حد القذف . وأن حسان بن العطل ، قد أصاب حسانا وضربه بالسيف (٢) ، وأن صح هذا ، وقد لا يكون صحيحا فان حسان بن ثابت قد اعتذر عن ذلك فمدح عائشة رضى الله عنها بقوله :

حصان بزان ما تُكزن بهيمة	وتصبح غرضى من لحوم الفواويل (٣)
عقيلة جى من لؤمى بن غالى	كرام الصاعى مجدهم غير زائل (٤)
مهذبة قد طيب الله خبيثها	وطهرها من كل سوء باطل (٥)

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٣٩ - ١٠٤٠

(٢) انظر تفاصيل ذلك . السيرة ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ١١٩ - ١٢١

(٣) حسان : عقيلة . وزان ملازمة لمسمعها لا تصرف كثيرا ، وترن : تنهم . غرضى : جائعة ، يريد أنها لا تبال من عرف أحد . والفواويل : جمع ناقطة .

(٤) عقيلة : الكريمة ، والسلمى : جمع سحابة ، وهو ما يسمى فيه العز من طلب المجد والكرام .

(٥) مهذبة : صافية مغلطة ، والخيم : الطبع والاصل .

- (١) فان كنت قد ظننت الذي قد زعمت فلا رمت سوطي إلى أناطيس
(٢) فكيف يودعي ما جئت وشعرتسي لآل رسول الله نثن المحافل
(٣) له رتب عال على الناح كلهم تقاصر عنه سيرة المطاول
(٤) فإن الذي قد قيل ليس بلاط ولكنه قول امرئ ليس ملجول

وشعره الجاهلي كما ذكر القدامى بحق أقل روعة من شعره الاسلامي
وان كان كل شعره الاسلامي لم يخل من الروعة . ويقال انه لم يتخلص
من الانس الجاهلي ، ولكنه على أية حال لعب دورا هاما في الدشاع
الاسلام بشعره وخاصة في المعركة التي دارت بين شعراء المشركين وشعراء
الرسول عليه السلام . توفي حسان - فيما يقال - في سنة خمسين للهجرة
في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

(١) الانامل : جمع أنطة ، وهي طرف الأصبع ، وقد يعبر بها عن الأصبع
كله .

(٢) المحافل : جمع حفل : وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس .

(٣) رتب : يروي بضم الراء وفتحها ، فأما من روى بضم الراء فقد أراد جمع رتبة
وهي المنزلة ، وأما من روى بفتح الراء : فقد أراد المجد والشرف والمروة
الوثبة .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١١٣١ - ١١٣٢
ليس بلاط : ليس بلاطيق : تحول هذا لا يلبط بخلان ، اذا أردت أنه
لا يلصق به . والماحل : النمام اليأسي الكاذب .

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى وكان ... شاعرا فحلا مجيدا ، وكان
التي صلى الله عليه وسلم قد أعيد دمه - كما سبق أن ذكرنا - ولكنه
بعد أن عرف أن الرسول سيعاقبه على هجائه إياه ذهب اليه ثانيا ودحسه
بقصيدة العشيورة " بانت سعاد " :

- ١ - بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
- ٢ - وما سعاد عداة البين إذ رحلت
- ٣ - ولما خلة لو أنها صدقت
- ٤ - لكنها خلة قد سبط من دمها
- ٥ - فما تدوم على حال تكون به
- ٦ - فلا يفرئك ما منت وما وعدت
- ٧ - غالى لا عمك العهد الذي عهدت
- ٨ - كانت مواعد عرقوب لها مثلا

ثم قال بعد ذكر ناقته :

- ١٠ - وقال كل خليل كنت أمله
- ١١ - فقلت خلوا سبيلا لأهلكم
- ١٢ - كحل ابن أنثى وإن طالت سلامته
- ١٣ - أنهئت أن رسول الله أود نسي
- ١٤ - أن الرسول لم يهتف بهتضا
- ١٥ - في عصبة من قريش قال فائلهم
- ١٦ - زالوا فما زال أنكاسولا كشف
- ١٧ - يمشون مشى الجبال الزهر بعصمها
- ١٨ - ثم المرانين أبطال ليوسهم

انك يا ابن أبي سلمى لفتكول
لا ألفيتك انى عنك مشكول
فكل ما قدر الرحن فمكول
يوما على آلة حدباء محمول
والعفو عند رسول الله مأمول
سند من سيدى الله معلول
بطن مكة لما أسلموا زلوا
عند اللقاء ولا ميل معانكول
ضرب اذا عرد السود التاهيل
من نسج داود فى الهيجا سراويل

- ١٩- لا يفرحون إذا نالست رماحهم قوسا ، ولمسوا مجازعها إذا نبلوا
 ٢٠- لا يقع الطعن إلا في نخورهم ليس لهم من حياض الموت تهليل
 ٢١- ان الرسول سيف يمتغا به مهتد من سيف الله مسلح

أشار الرسول على الله عليه وسلم الى الخلق : أن استغوا

ويذكر أن رسول الله على الله عليه وسلم أهداه برده ، وأنه يأتى بها
 خلفا ، بنى أمة فظلموا بتوارثها حتى انتهت دولتهم .

وتعد هذه القصيدة من أجود ما قيل في مدح الرسول وإن كان الشاع
 لم يتخلص فيها تخلصا كبيرا من عناصر المدح الجاهلي ، حتى قيل أنه
 لم يزد على أن مدح الرسول وكأنه أسير من أمراء العرب . ومع هذا فسلا
 تزال هذه القصيدة ذات مكانة خاصة لأن الرسول مدح بها أيما كان هذا المدح

الشرح :

١- بانث : بعدت . متبول : ذهب العشق بعقله . منيم : نأته الى راء
 أو العشق أو الحب ، تما وتبته تنيم عده وذله . مكبول : الكبل :
 القيد : والمكبول المقيد .

بعدت سعاد فأصاب العشق قلبي فذله وذغب بعقلي فأصبحت أسير
 هواها وكم يفتنى أحد حتى استرد حريتي .

٢- أغن : طغى أغن : يخرج موته من خياشيمه . غضي الطرف : غش
 طرفه : خفيه ، أو فاض الطرف . مكحول : اكتطعت عنها .
 شبه سعاد يوم رحل قوسها ، بفرزال جميل الصوت فاطر العين ، حولها .

٣- هلمها خلة : هلمه : يقال للمستجد هلمه : أي هلم لاه
 فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ، ثم لحقته الهاء بالفتحة .
 الخلة : الخلقة : والمداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف

وفي دعارة : والخلة : المديق للذكر والأنثى والواجد والجمع
يصور الشاعر ما اعتقت به حبيته معاد من غياي وما اعتقت به كذلك
من اخلاق المواجد ، وأنه لا يجد نجما لاقامة علاقة أوصال معها
فهي تعد وتظف .

٤ - فجح : الفجح : أن يوجع الانسان بشئ * يكرم عليه فيعده * وولع :
الكذب . واخلاق : أن تعد عدة ولا تتجزها ، ومنها اخلاق الوعد .
وتدليل : تغيير . سيط من دمها : السوط : الخطط ، أو هو أن تخطط
شيئين في انائك ثم تقرهما بيدك حتى يخططا .
لكنها حبيبة قد اخطط بدمها الفجح ، والكذب واخلاق الوعد ، والثغمين
في موقفها من حبيبها .

٥ - الغول : شيطان يأكل الناس أو الفملاء ، أو الداهية
يصور تغييرها في معاملته ، بقوله : انها لا تدوم على حال تكون به ،
بل تتلون في ألوان مختلفة كما تعمل الغول .
٦ - غره : خدعه . شاه : جعله يتسنى شيئا ، كأنه وعده بقدومه لكنه
أو ساعدته عليه .
لا تتخدع بما عنك من الاماني ، وما تعدك من الوعد ، فان الاماني
خداع وتضليل .

٧ - عهدت : وعدت . الغرمال : آلة خاصة لتفكة الحبوب .
والله لا تمسك بالعهد الذي تعد به ، الا كما تمسك بالما* الغرايبيل .

٨ - عرقوب : رجل ضرب المشل بخلفه للوعد .
مثلا في اخلاق الوعد مثل عرقوب المشهور باخلاق الوعد .
وما مواعد عرقوب الا الاباطيل .

٩ - الفواة : جمع غاو : والفاري : من ضل وضواء غيره .

بدفهبها : الدف : بالفتح : الجنب من كل نسي : أو علقته .
يمعى الى جوار ناقتى ناس (يسميهم هو الفؤاة) يحذرونه ويذرونه
من الاقدام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤكدون لـ
أنه مقتول لا محالة .

١٠ - الخليل : المديق . آمله : الامل : الرجال ، وأمله : رجاء ،
وأمله : أرجوه .

وقال كل مديق حملت كنت أرجو لمعاذتى على الحصول على غنى
رسول الله ، انى مشغول بأمرى .

١١ - خلوسيلى : ارتكبتى أذهبتى ولا تقصوا فى طريقى
قلت ليهؤلاء الذين خلونى من غضب رسول الله ، أتركوتى أمضى نسي
طريقى اليه فكل ما قدر الرحمن لا يند نافذ .

١٢ - آله : سرير الميت ، وما اعتطت به من أداة . حدياء : الحديب :
خروج الظهر ، ودخول الصدر والبطن . ابن أنثى : كناية عن الانسان
(رجلا أو امرأة) .

كل انسان أو كل رجل مهما طال عمره لابد أن يموت وأن يحمل جثته
على سرير الميت وهو سرير أحد يا غير من حج . يعنى أن الموت لا مفر
منه ، فالانسان لابد ميت .

١٣ - أودنى : أذره بالشر والعقاب . مأمول : مرجو ، أو متوقع . أنهت
أى أخبرت .

أخبرت الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذرنى بالقتل ،
وهددنى بالعقاب . وأنا آمل وأطمع فى غفوه عني ومثله يتوقع منه العفو .

١٤ - يستغاب به : يهتدى به كذا يهتدى بالضوء أو النور . مهتد : هتدي
مثل السيف : أخرجه من غده .

يشبه الرسول بالسيف ، وأنه نور يهدي به ، وهذا السيف الضى
المنير الذى يهدي يفرقه سيف من أجود السيوف فهو سيف مهندس
سل من غده أى معد للقتال دائما .

١٥ - عصبة : العصبة ما بين العشرة الى الأربعين . زولوا : يصد : هاجروا
قاتلهم : هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه أو هو أبو بكر رضى
الله عنه فى جماعة من قريش قال قاتل من المسلمين هاجروا .

١٦ - الكشف : الاكتف : من ينهزم فى الحرب ، أو من لا ترسى معه أو من
لا يهتة على رأسه . هاجروا : زولوا . الميل : جمع أميل وهو الجبان
المعزىل : الأعزل : من لا سلاح معه .
هاجروا ، فما هاجروا هجرة الجبان ، ولا كانوا يوم اللقاء والحرب
عزل من السلاح أو جثا ، فهم شجعان وهم رجال الحرب والقتال
وسلاحهم فى أيديهم دائما يدفعون به عدوان من يعتدى عليهم .

١٧ - الزهر : نوع من الجبال . عرد : عرد تمريدا : هرب . التاهيل :
القصار . يحميها : يقيها ، ومنعها .
يشنون منية الجبال الزهر ، وهذا كتابة عن القصار ، والنقل ان لهم
لوقارا اذا مشوا ، وحميهم من عدوهم غريب " شذيد " اذا جبن وهرب
السود القصار .

١٨ - شم المرانين : المرانين : الانف كشم ، أو ما صلب من عظمه . والشم
ارتفاع قصبة الانف وجنتها ، واستواء أعلاها . الاشم : السد ذو الانفة
نصج داود : كتابة عن الحديد . السيمال : القميص أو الدرع أو كل
ما لبس . وشم المرانين : كتابة عن إيا " الشذل والخيم وتنهون .
هم قوم لا يفلحون شيئا ولا مهانة ولا ذلا . أبطال شجعان يلمسون
دروسا من الحديد فى أكتاف المعارك .

١٩ - الجزع : تقيظ الصبر ، نالهم العدو : انتصر عليهم ، نالوه : انتصروا
هم عليه .

إذا قطعت أرواحهم قوماً أو هزمتهم لا يهتفون بهذا ، ولا يشتد حزنهم ،
أو ينفذ صبرهم ، إذا نالت رماح عدوهم منهم أي إذا هزموا .
يخلصون النصر والهزيمة كليهما وكأنهما شيء طبيعي ، فلا يفرحهم النصر
ولا تحزنهم الهزيمة ، بل يهتفون عند الهزيمة ولا يهتفون بالنصر ،
فالحرب سجال ، يوم لك هزم عليك .

٢٠ - لا يقع طعن العدو إلا في تحريم أي في رقابهم من الأسماء ، وهذا
كتابة عن الثبات في المعركة وعدم الفرار ، وحيات الموت : جعل
الموت حياتاً كحيات الماء التي يشرب منها الناس والحيوان ، والحيات
تكره وجعاً وهو . هم إذا يدمون على الموت ويشبهون من حياتهم
دون جوع أو فرار .

عصر بني أمية

عصر بني أمية (١)

إذا كان عصر صدر الإسلام يمثل تغييراً شاملاً في حياة العرب الجاهلية ، حيث نقلهم من حياة القبيلة إلى حياة المجتمع وأزال كثيرًا من قيمهم الاجتماعية والأخلاقية ، وجاءهم بدين جديد يعنى بالمقاييس والكبير ، ويهيئهم لكي يكونوا أمة واحدة ، لها نظمها وقوانينها الجديدة إذا كان الإسلام قد فعل هذا بالعرب ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنشأ دولة إسلامية في المدينة ، وتولى رئاسة هذه الدولة الدينية والسياسية والعسكرية - لا تعتمد في ظل تعاليم الدين الجديدة - حيث استطاع أن يسيطر على جزء كبير من الجزيرة العربية ، ثم جعل الخلفاء من بعده يظلمون لتوسيع رقعة دولتهم ، ونشر تعاليم دينهم فان الأمويين كان حكمهم حكم التغلب ، ودولتهم دولة جديدة انتزعت ملكها بحد السيف بالمواعرات السياسية ، ولم تبال في الوصول إلى غرضها بشئ . * حقًا تطبق الشريعة الإسلامية ، ولكن حاكمها يطلق اليد في كل شئ . * ولم تخل من الظلم والفساد ، وإشارة العصبيية بين المسلمين . ولذلك فإن تلك الدولة التي امتد حكمها فترة زمنية طويلة من ٤١ - ١٣٢ هـ ، واستطاعت بسط نفوذها إلى أقصى مدى وصلت إليه ما يجعل الباحثون يلتمسون لهم العذر فيما اقترفوه من قهر وفساد على يد ولائهم أو على أيديهم هم أنفسهم . * وكان الصراع بين العصبيية ، أو بمباراة أخرى بين القحطانية والعديانية ، والصراع بين الأحزاب السياسية من سائر تلك العصر . ولذا نشأت الأحزاب السياسية ، كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدريّة ، والزيبريون . وهلم جرا .

ولقد كان للسياسة الأمية أثرها في نهضة الشعر في هذا العصر فقد شجع الخلفاء الأمويون والولاة الشعراء بالمطاع الجليل على ما يقدمون

(١) الشعر والشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ . *

من مدح فأنشده الشعراء في مدحهم مستخدمين فيها أساليب غير إسلامية كالنكابة في العدو ، والتفخ والضر ، والمطامع للأنعام ، وخبران الخصوم وغير ذلك من المعاني . كما انتشر الهجاء بصورة تغاوت عن السخرية التي الانداع ، ومن السخرية قول الطرمذاني بن حكيم يهجو بني نعيم :

لا تمر نصر امرئ أسى له فترين على عيم يريد النصر من أحد
لوحيا يرد عيم ثم قيل لهما حوض الرسول عليه الأزد لم يرد
أو أنزل الله وحيا أن يخذلها إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد
يكل لؤيم إيمان الله ألتك والله شئت لم يتفكر ولم يسر
قوم أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه جذمة الوثيد
فاسأل قفيرة بالمسوت هل شهدت عشب الحطيفة بين الكمر والتفد
أم كان في غالب شمر فيهمهم نعيم إنيته لئال الشجر من سدد
جاءت به من شمر مل مسرهم شقيقت إلى شروايد شق في حد
لا تأمنن نعيمها على حسد قد مات ، ما لم تزال أعظم الجند

والغلوقة تتضمن هجاء بالجهن والضعف ، واللوم والذم ، وهي قيم قديمة ، ولكن الشاعر يصوغها صياغة ساخرة ، كما يصفهم بالخيانة والانحلال الخلقي والجديد هنا عمو الهجاء الساخر الذي لم يخل من أشر الإسلام كما نرى في البيت الثالث . ويأتي هذا الهجاء بما فيه من اقتذاع رغم إسلام الشاعر ، واعتناق الناصر للدين الإسلامي ، إذ كانت الظروف السياسية والاجتماعية تساعد على ذلك ، ومن ذلك أمثلة الهجاء ،

ذلك الهجاء : ما يقول الفزردق خارجا فيه على كل ما ينهى عنه الدين من قذف المحرمات : يقول ابن قتيبة : " ولما هجا الفزردق بشئ منكر بسبب نعيمها ، وهي حمة اللعين (الشاعر) المنكر ، فقال :

وَأَمْرٌ عِيبٌ الْمُتَقَرَّبُ إِلَيْهَا تَدِيدُ يَهْطُلُ الْحَنَظَلِيُّ لِمَوْقِفِهَا
رَأَتْ مَقَرًّا سَوْدًا قَصَارًا وَاجْصُرَتْ فَتَنَى دَارِمًا كَالْهَلَالِ يَرُوقُهَا
فَمَا أَنْ هَجَّتْ الْمُتَقَرَّبُ لِلْمَقَرِّ وَلَكِنَّمَا اسْتَعْمَلَتْ عَلَى عَرَفِهَا
اسْتَعْدُوا عَلَيْهِ زِيَادًا ، فَهَرَبَ إِلَى الدِّينَةِ وَطَلَبَهَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي ، فَأَمَنَهُ
وَأَجَارَهُ وَأَظْهَرَ زِيَادَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِهِ سِوَا ، وَأَنَّهُ لَوَاتَاءُ لِحِجَابٍ وَكَرْمِهِ
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ لَأَفْرِغْ مَا سَاقَى ذُو حَسَبٍ وَقَدْ
وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُبَدِّ عَطَاءَهُمْ رَجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَسِرُ بِهِمْ قَعْرَا
وَلَانِي لِأَخِي أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهُمْ سَوْدًا مَحْدَرَجَةً سُدًّا سَرَا
... (١)

ومن الملاحظ أن سعيد بن العاصي الوالي الأموي يحضى الفرزدق في نبي حسين
بعاقب عصرين الخطاب رضى الله عنه الخطيئة له جاشه الزريقان . مما يدل
على أن الهجاء لم يعد محتسرا من قبل الدلائلة الاموية الا اذا وجه للخطيئة
أو لولائه . وأنه يومئذى وظيفة سياسية نبي ظل العصبية التي أثارها
الأمويون .

وليس من العجيب أن أن يهجو الاضطل وهو نصراني الانصار
بقوله :

ذَهَبَتْ قَرِيضٌ بِالسَّاحَةِ وَالنَّدَى وَاللَّيْلُ تَحْدُثُ عَنَائِمَ الْانْتِصَارِ
فَذَرُوا الْعَالِي لِسْتُمْ مِنْ أَعْلَىهَا وَخَذُوا سَاحِكُمْ بَنَى النُّجَارِ
وَأَنْ يَحْمِيَهُ مِنْهُمْ يَزِيدُ بْنُ معاوية (٢)

(١) الشعر والنعماء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ٤٨١

وبعد خيل الاخطل على يد الملك بن مروان والجحاف بن عمرو عنده
وعو يسرب مجلسه فيقول الاخطل لعبد الملك مشيراً له على الجحاف :

وقد بنيت المرعى على ومن الشرى وتبقى حزازات الرجال كما هي
فيضربه عبد الملك بقدمه في صدره ، فيمقلبه من فوق سريره ، يكاد
يفتك به ، ولما يخرج الجحاف لا يصدق بالنجاة ينقم من بين تناسيب
قبيلة الاخطل يقتل منهم مقلبة عذيمة رداً على ما عرض له الشاعر من
الخطر (١) ويورد ابن قتيبة الخبر بصورة أخرى ، فيقول :

* ولما قتل بنو تغلب عجير بن الحباب السلمي أنشد الاخطل عبد الملك
بن مروان ، والجحاف السلمي عنده ، في شعره :

ألا سائل الجحاف هل هو ناسر يفتي أصيب من سليم وعامر

فخرج الجحاف (من قومه ذلك) مغضباً حتى أغار على البشر وهو ما
لبنى تغلب ، وقتل منهم ثلاثة وعشرين رجلاً ، وقال :

أيا مالك هل لعني مذ حضضتني عني القتل ، أم هل لامي منك لأم
متي عدني أخرى أجلك بعثها وأنت امرؤ بالحق ليس بها لسم

فخرج الاخطل حتى أتى عبد الملك بن مروان وبعد قال :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها العثكى والمعول
فألا تدبرها فبشر بلكها يكن عن قريش مستأز ومزجل

فقال له عبد الملك : إلى أين يا ابن اللخما ؟ قال : إلى النصار
يا أمير المؤمنين ، قال : أما والله لو غيرها قلت لشربت عثك * (٢)

(١) أناسر :

(٢) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٤٨٥

فالعصبية ظاهرة بين الرجلين ، وأما الخليفة فالقتل يقع منه دونما
سبب ولو على القول ، وهو هنا يخالف سلك الخلفاء الراشد بين السابقين
الذين كانوا يخرجون فيما هو أقل من القتل بكثير .

يصف المهاجيان في الهجاء ، ولا يحتشمان أن يذكرنا مالا يليق ذكره
ويعبر كل واحد منهما الآخر بضعة أصله - ناسيا أو متاسيا - كلكم
لادم وآدم خلق من تراب . ولا فضل لعيسى على أعصى إلا بالقوى . كما
يعبر خصمه بالجين ، وضعة الأصل ، وقلة الغنى في الحروب .

ومن أمثلة التهاجي الفاحش قول جرير وهجوا الأخطل :

تسوف التغلبية وهي سكرى	قفا الخنزير تحسبه غمرا لا
من المتولجات على النشابة	ولا تلج الغدور ولا الحجالا
تظل الخمر تخلص أقدعهم	وتشكو في قوائمها أمدا لا
إذا انفقت عنها وفائق	رأى الرايون داهية عضالا (١)

ولا يستطيع أن نجاز ما يتفنى ، فنذكر ما يذكره الشاعر من ألفاظ غير
لائقة . يستخدم جرير في مواجهته للفرزدق انحلال الأخير ، وفي وصف
دبته ، كما يهاجم الأخطل لأنه مسجى بشرب الخمر ، واكل لحم الخنزير
الذي غير ذلك من الأمور فهو يسطهم الاسلام حتى في أمانيه (٢)

ولا نريد أن نطيل في هذا الموضوع فليس هذا مقاديرا ، وإنما أردنا
فقط أن نشير إلى التفسير الذي حل بالشعر في العصر الأموي فانه نجاز
الشعراء في ذلك حتى ما كان الناس يتوقعونه ولم يحدث في العصر
الجاهلي من فحش في الهجاء .

(١) ديوان جرير ، المجلد الثاني ، صدر سابق ، ص ٧٥١

(٢) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥

وقد أخذ الهجاء بين الفحول الثلاثة في العصر الاموي وهم الفرزدق وجبرير والخططل صيغة النقاشين* وهي قصائد كان يرد بها الشاعر المهجو على من عجزا على نفس الوزن والقافية* والباحثون لا يرون أن تلك النقاشين كانت تعبر عن عدا* حقيقى بين أولئك الشعراء* ولا بين قبائلهم* بل يرون أن هذه النقاشين كانت فنا* يقول أستاذنا الدكتور شوقي خيوسف عن النقاشين: "وبذلك تحولت النقاشين من غايمة الهجاء الخالص الى غايمة جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة الى ضرب من ضروب الملاهي* (١)

ويقول أيضا: "ولعل في هذا ما يدل أكبر الدلالة على أن النقاشين عند الشعراء الكبار جبرير والفرزدق إنما كان يقصد بها قبل كل شيء* التي عملية الجماعة العاطلة التي تكونت في المدينتين الكبيرتين البصرة والكوفة* وقد بدأ أسباب قبلية* ولكنها تطورت الى مناظرة يبراد بها مل* أوقات العاطلين* وهي مناظرة كانت تقاطع بالتهليل والتفسيق ومن ثم لم تأخذ شكلا جادا من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب* ولو أنها أخذت شكلا من هذه الاشكال لشهرت معها السيوف* وخاصة حين يأخذ الفرزدق في قذف نساء العشائر والامهات والاختوات* انها لم تعد هجاء بالمعنى القديم* بل أصبحت فنا يقصد به الى امتاع الناس في البصرة وقطع أوقات فراغهم* (٢)

فما ان هذه النقاشين لم تعد هجاء بالمعنى القديم* ولكنها كانت تؤخذ مأخذ الجد* أحيانا - كما في قصة الراعي النعمري وجبرير* فقد كان لهجاء جبرير أشد كبر في نفوس بني نمير وشاعرهم الراعي (٣)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠

(٣) الاغانى ، ج ٨ ، صدر سابق ، ص ٢٧٧٥ - ٢٧٧٨

كما أن هجاء الأخطل للجفاف بين سر أحدث واقعة " البشر " المعروفة
والتي أوقعها الجفاف بيني تغلب فم الأخطل ، ولكن لاشك أن هجاء
جبر والفرزدق وأناس من غيرهم ظلالاً غامضاً قولياً ليس غير .

يرى الدكتور عبد القادر القط أن شعر النقاش لم يكن يومئذ
مأخذ الجد من معاصريه ، بل كان يشل سخرية وفكاهة يقلبها المجمع
فيقول : " والنهضة في الغلب تدور حول محورين أساسيين أولهما ما أشرنا
إليه من فكر وهجاء ، فليس ، والثاني فخر من القول بتناول أعراض الامهات
والزجاجات والاختلات ونحوها " القبيلة بوجه عام . فيه قدر غير قليل من الطرافة
والفكاهة والسخرية اللاذعة . والناظر في أمر هذه الصور الفاحشة يدرك
أن المتأخرين ، ومن يتلقون شعرهم ، لم يكونوا يأخذون الأمر مأخذ الجد
والا لكان أقل قليلاً كما فيها لرافة الدماء . . . (١)

ولكن هذا لا يعني أن الناس كانوا يتلقون الهجاء على أنه أمر طبيعي ،
بل كانوا يخشونه ، ويحاولون استرضاء الشاعر إذا ما بدر من أحد من
قبائلهم ما يسيء إلى الشاعر . يقول صاحب الأغاني : " . . . كان فخر فسي
بني حرام من سخاكه يملن شولفتر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأنتينا
بفه الفرزدق ، وقلنا هو يبين يدبك ، فان شئت فاضرب ، وان شئت فاحلق
لا عدي عليك ولا قصاص ، فحلى عنه ، وقال :

فمن بك خائفاً لاذة فولي
فقد أمن الهجاء بنو حرام
هم قادوا سفهم وخافوا
فقد مثل أطواق الحمام (٢)

ونع احترامنا لكل الآراء السابقة ، فإن التطور الذي أصاب النقاش

(١) في الشعر الاسلامي والامير ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .
(٢) الاغانى الجاهلية ، ص ٣٩٧ ، وأظهرت يدع الإحصاء في موقع الزمخشري
من الشاعر ، واعتذر لهم له / المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

أو أصاب الهجاء وحوله إلى نقضه كان تطوراً شكلياً لا ينفذ إلى حساب القيمة أي (النقضة) فمادتها جاهلية وقيمتها جاهلية ، بل أنها تصف بأكثر ما كان الجاهليون يفعلون ، وهي وإن استعانت ببعض القيم الجديدة لم تتطهر من القديم وذلك خلافاً لرأي أستاذنا الدكتور شوقي ضيف (١) .

ومع ذلك ظل الديبج هو وظيفة الشاعر الأولى سواء كان مديحياً للخلفاء والولاة أو غيرهم ، وكان الشعراء يلمسون لكل حال لبوسها ، وليس أدل على ذلك من موقف الشعراء من عمر بن عبد العزيز الذي ما كان يريد مديحاً ، ولا يهوى للشعراء حقاً في مال الصالحين لأن الزكاة مضافها المعرفة في الإسلام (٢) فقد أعد أولئك الشعراء له شعراً يتضمن القيم والعباد التي يتعصب بها ، ويشيرون إلى ما عرف به من العدل والزهد ، يقول جريس :

قد طال قولي إذا ما قمت بهتلاً	يارب أصلح قوام الدين والبشر
خليفة الله ثم الله يحفظه	والله يحفظك الرحمن في الشعر
أنا لفرجو إذا ما الغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من العطر
يارب سجل مغيب قد نحت به	من ناشل غير مسترح ولا كسدر
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت	أم قد كفاني الذي بلغت من خسر
ما زلت بعدك في دار تعرفني	قد عني بالحق اصعادي وتنحدر (٣)

ويكرر الشاعر اللفاظ التي تتصل بالدين . فيكرر اسم الله في البيت الثاني أربع مرات للتأشير على الخليفة التقى ، ثم يأتيه من هذه الناحية كذلك حال قوله وما نزل بهم من ضر وكأنه يذكره مثليته عن الصالحين

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص ١١٢

(٢) الأغانى ج ٨ ، صدر سابق ، ص ٢٧٩٤

(٣) ديوان جريس ، المجلد الأول - تحقيق الدكتور / نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤١٤ ، ٤١٥

فيقول :

كم بالمواسم من شعشأء أربطة
يدعوك دعوة ملهوف كأن به
من بعدك تكفى فقد والده
لنجان دعهم فمن يرجون بعدكم
خليفة الله ماذا تأمرون بنا
أنت المبارك والمهدي سرتبه
أعجبت للغير المعمور مجلته
نال الخلافة إذ كانت له قدرا
فلس تزال لهذا الدين ما عسروا
ومن يتهم ضعيف الصوت والنظير
نسا من الجن أو خيلا من النسر
كالفرخ في العسكر لم يدع وله طير
أو تنج منها فقد أُنجيت من ضر
لنسا الحكم ولا في دار منظر
تدعى الهوى وتقوم الليل بالمر
زينا زين قباب الملك والحجر
كما أتى ربه موسى على قدر
منكم عبارة ملك واضح الغسر (١)

ويظهر في عصر بني أمية أثر الثقافة الإسلامية واضحا في شعر الشعراء ، حتى في الهجاء نفسه . إذ أصبحت تلك الثقافة زاد الشاعر بعد أن كان الشاعر في العصر الإسلامي يعتمد على الشعر الجاهلي وحده . فأصبح الشاعر في عصر بني أمية يستمد من الشعر الجاهلي ومن الثقافة الإسلامية .

ويظل المديح والهجاء هما الغنان اللذان يتخشان الشاعر مكانة اجتماعية كبيرة قني عصره . فالشاعر يمدح من يده السلطان ، ويهجو خدمه ، أو يهجو خصوم قبيلته ، أو خصومه ، أو شخصيه . وكان في الغالب مشطرا إلى التكسب بعصره . وفي حياة جرير والفردق والاختل ما يدل دلالة قاطعة على أن المديح كان أساس مرتزق الشعراء ، وأن الهجاء كان يولّد مكانة الشاعر الاجتماعية ولاد بية .

(١) ديوان جرير : صدر سابق ، ص ٤١٥ ، ٤١٦

فالاخطل مثلاً أصبح شاعر بنى أمية لأنه هجا الانصار بنجر بن
من يزيد بن معاوية ، لان شعراء الانصار كانوا يهجون الامويين . ولان عبد
الرحمن بن حسان تغزل " بريلة " ابنة معاوية . وظل الاخطل شاعر
البلاط الاسوي غير منازع حتى وفاته ، رغم سيحيته . بل ان جريرا لم
يخلص على مستقبله كشاعر حتى مدح الحجاج بن يوسف دون أن يدعوه
الحجاج الى مدحه . ويد وأنّه توسل به ليتكّن من أن يصبح شاعراً
يمدح خلفاء بنى أمية ونال عطاياهم . وقد غضب عليه عبد الملك بن مروان
أما لأنه كان زبيري الهوى ^(١) ، وان لم يعرف ذلك عنه صراحة ، أو لان
قبيلته كانت ممن خرج على بنى أمية وتشيعوا لعلي رضي الله عنه . وقد
ورد في أشعار جريرا ما يشير الى هذا حيث قال وهو يمدح هشام
ابن عبد الملك .

لا تخفون بنى تميم انهم تايوا النصوح واجعوا حسن الهدى
من كان يمرض قلبه من بيعة خافوا عقابك وانتهى أمي النهي ^(٢)

ومن ثم يصور لنا صاحب الأغاني دخول جرير على عبد الملك بن مروان بعد
أن أصر الأخير على ألا يقبل منه مدحاً ، وأن يقصر مدحه على الحجاج مذكراً
الشاعر بما قاله في مدح الحجاج بن يوسف ، قائلاً له : " وما عساك أن تقول
فيما بعد قولك في الحجاج : ألسن القائل :

من مد مطلق التفاق عليكم أم من يصول كسولة الحجاج

ان الله لم يصرني بالحجاج ، وانما نصر دينه وخليفته ، أولست القائل :

أم من يمار على النساء حفيظة إذ لا يتقن بغيره الأزواج

(١) د. باقر - را ، ج ١ ، ربيع - ابي ، ص ١٨٨ ، حيث يقول : " كان عبد الملك
ابن مروان لا يسمح لشعراء مضر ، ولا يأذن لهم لانهم كانوا زبيريين " .

(٢) ديوان جرير ، ج ١ ، ص ٥ .

يا عاني كذا وكذا من أمه ، والله لم يمت أن أطير بك طيرة بطيئا مقطوعا
أخرج عني ، فأخشي بشر . (١)

وقيل أن يجمع عبد الملك بن مروان لجريس بدحه ، قال جريس لمحمد
ابن الحجاج الذي كان قد أزمع السفر عائدا إلى العراق بعد أن يشر من
رضا الخليفة عبد الملك بن مروان عن جريس ، وأمراره على ألا يسمع بدحه
فيه بعد أن مدح الحجاج ذلك الديبج الرائع : " أن رجلت عن أمي
المومنين ولم يسمع عني ، ولم آخذ له جائزة سقطت إلى آخر الدهر ،
ولست بارحا أو يأذن لي في الانشاد . وأمسك عبد الملك عن الأذن لي
فقال جريس : ارجل أنت وأقيم أنا . فدخل على الملك وأخبره بقبول
جريس واستأذن له وسأله أن يجمع منه ، وقيل بدده رجله فأذن له . (٢)
بل إن الفرزدق على غريبه وكبرائه كان مادحا متكبا ، يأنس العطشا
في أي مكان حتى في مصر ، كما فعل غيره من الشعراء .

وعذا نل يدل على أن مكانة الشاعر كان يؤد لها ويرسخها أجادته
لفني الديبج والهجاء ، لانهما وسيلانه للارتزاق ، ولكن هذا لا يعني أن
الناس أو النقاد ، أو الخلفاء أيضا كانوا لا يقدرون شعر الغزل أو الرثاء
أو غيرها من فنون الشعر . بل كانوا يقدرونه ويحبون عليه ، وقد شهيد
هذا العصر نظرا واسعا في أغراض الشعر العربي المختلفة ، من رثاء
وغزل وفخر وغيرها .

(١) الأغاني ، ج ٨ ، صدر سابق ، ص ٢٨١٢

(٢) نفسه ، ص ٢٨١٢ - ٢٨١٣

جير (ت ١١٦ هـ)

جير بن عبيدة الخطفي ، واسمه جذبة بن بدر بن سلمة ، مكسني
أبا حنزة ولقب الخطفي . وتذكر قصة طريقه في سبب تسميته باسمه
" جير " ، يذكرها صاحب الاغانى فيقول : " رأت أم جير وهم حامل
به كأنها ولدت حبلًا من بحر أسود ، فلما سقط منها جعل يخرق فيقع
في علق هذا فيخفه حتى فعل ذلك برجال كثير ، فانتبهت فرعته
فأولت البرية فقيل لها : تدين فلانًا شاعرًا ذا شروعة وشكعة ، هلا
على الناس ، فلما ولدته سمته " جير " باسم الحبل الذي رأى أنه
خرج منها . قال : والجيرير : الحبل (١) .

" وهو والفريزدي والاخلطل القدمون على شعراء الاسلام الذين لم
يدركوا الجاهلية جميعا ، ومختلف في أبيهم المقدم ، ولم يبق أحسد
من شعراء عصرهم الا تعرف لهم فافتضح وسقط ، ويقوا يتناولون ، على
أن الاخلطل انما دخل بين جير والفريزدي في آخر أمرهما وقد آمن ونقد
أكثر عمره ، وهو وان كان له فضلة وقد سمع فليس بنجره من نجارهذين
في شيء " (٢) .

وقال أبو الفرج أيضا : " انقضت العرب على أن أشعر أهل الاسلام
ثلاثة : " جير والفريزدي والاخلطل ، واختلفوا في تديم بعضهم على بعض
قال حمد بن سلام : والرأى معهم في طبقتهم ، ولكنه آخرهم والمخالسف
في ذلك قليل . وقد سمع يونس يقول : ما شهد تشهدا قط ، قد
ذكر فيه جير والفريزدي فاجتمع أهل المجمع على أحدهما ، وكان يونس
فريزديا " وقال أبو الفرج أيضا : " قاتل ابن سنان . وقال ابن رجب : الفريزدي

(١) الاغانى ، ج ٨ ، تحقيق ابراهيم الايبارى ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ،
ص ٢٧٩٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٥٠

أشعر عامة * وجير أشعر عامة ، وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو يشبهه
جيرا بالاشئى ، والفردى بزهر ، والاضطلل بالناخبة * قال أبو عبيدة :
يخشى من قدم جيرا بأنه كان أكثرهم فتون شعر ، وأسلمهم الفاظا ،
وأقلهم غلغا ، وأرقهم نسيبا ، وكان دينا عيفا ، وقال عامر بن عبد الملك
جير كان أشبهها ، وأنسبها * (١) وقد توفي جير سنة ١١٤ هـ .

ويعرف جير بالعفة ، مع حسن تشبيهه : يقول ابن قتيبة : * * * وكان
مع حسن تشبيهه عيفا ، وكان الفردى فاسقا ، وكان يقول : ما أحوجهم
مع غفلة إلى صلاية شعري ، وما أحوجني إلى رقة شعره أما شعور * (٢)

وتسم غزله بالرقعة والجمال والعفة ، وكان جير نفسه يدرك هذا
* * * قال : لولا ما شغلنى من هذه الكلاب (يقصد الشعراء الذين
يهجونهم فيضطر إلى هجائهم) لشببت تشبيها تحسن منه العجوز إلى : وأبها
كما تحسن الناقصة إلى شعبيها * (٣)

وقد كان الفردى هجا جيرا لأنه اشئى جارية ، فكهت عشرته ،
وذلك بعد أن صرح جيرا بالقصة : يقول ابن سلام : " واشئى جير جارية
من رجل من أهل اليمامة ، يقال له زيد ، يعرف بابن النجار ففركتسه
وكهت خشونة عيشة ، فقال :

كَلَفْنِي مَعِيكَ آلَ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمَرْقُوقِ الْمَسْكِينِ
وَقَالَتْ : لَا تَقْصُمُ كَقَصَمَ زَيْدٌ وَمَا ضَعْفَى وَلَيْسَ مَعَى شَبَابِي

فقال الفردى :

لَنْ فَرَّقَكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وَأَعْوَزَكَ الْمَرْقُوقُ وَالْمَسْكِينُ

(١) الأغاني ، ج ٨ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥١

(٢) ، (٣) الشعر والشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٦٦

لَقَدْ تَمَّ كَانَ عَمْرُؤُا بِهَكَ جَدِيهَا يَعْمُرُهَا تَعْمُرُ بِهِ الْكَلَابُ (١)

ويتجهن جريرا الغرسة ليهن جو الفزدق لانه تزوج حذرا بنت زريق وهى
مسيحية على المهر الذى حكم به أبوها : " قد دخل على الحجاج فعزله
بحال تزوجتها على حكمها (وحكم أبوها مائة بعير ، وهى نصرانية
وجدتها متعزفا أن تسوقها عنك ، اخرج . مالك عندنا شئ . " فقال
عنه بن سعيد ، وأراد نفعه : (أيها الأمير) ، انما هى من عواشى
ايمل المدقة ، فأمر له بها الحجاج . فوثب عليه جريس فقال :

يَا زَيْقُ قَدْ كُنْتَ مَن شَيْمَانَ فِي حَسْبِ يَا زَيْقُ وَجِئْتَ مِن أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ ؟
أَنْكَحْتَ وَلَيْسَ قَيْنَا يَا زَيْقُ وَجِئْتَ أَنْ بَارَتْ بِكَ السُّوقُ ؟
غَابَ الْعَشِيُّ فَلَمْ يَشْهَدْ بِحُكْمِكُمْ وَالْحَوْفُزَانُ ، وَلَمْ يَشْهَدْكَ مَفْرُوقُ
يَارِبَا قَاتِلَةَ بَعْدَ الْبَنَاءِ بِهِيَا لَا الصَّبْرَ رَاغِرُ وَلَا ابْنَ الْقَيْنِ مَعْشُوقُ
أَيُّنَ الْأَوَّلَى اسْتَزَلُّوا النِّعْمَانَ ضَاحِيَةً ؟ أَمْ أَيْنَ أَبْنَاءُ شَيْمَانَ الْغُرَانِيَقُ ؟ (٢)

(١) - أبيات الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢

(٢) - المرجع السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ، وانظر أيضا الاناسى ج ٨ ، مرجع سابق
ص ٢٨٣١ - ٢٨٣٢

الاخلط (ت ٩٢ هـ)

هو غياث بن غوث بن الملت بن الطارقة ، من قبيلة غلب ، والاخلط لقب غلب عليه ، اما لسفاهته ، او لاضطراب كلامه - كما يقال - (١) ، وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ، وصله في الشعراء أكثر من أن يحتاج إلى وصف وهو وزير والفرزدق طبقة واحدة ، فجعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل ، ولكل واحد منهم طبقة خلفه عن الجماعة (٢) .

اتخذ عبد الملك بن مروان شاعرا لبني أمية ولقبه بذلك ، وكانت منزلته كبيرة لديه " كان الاخلط يحيى " ولقبه جبة خز وحزخز ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تتقن لحيته خمر ، حتى يدخل على عبد الملك بن مروان يخبره (٣) .

وكان غياثا اذا هجا ، " وكان ما يقدم به الاخلط أنه كان أخشع هجا " في غفاف عن الفحش . وقال الاخلط : ما هجوت أحدا قط بما تستحي المذراء أن تشده أباه (٤) .

وأكثر ديوانه من المدح والهجاء (٥) ويوصف الخمر ، أما أكثره من المدح

(١) الاناسي ، ج ٨ ، صدر سابق ، ص ٢٠٢٦ - ٢٠٢٨ ، وانظر الدكتور سيد غازي الاخلط شاعر بني أمية - دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٤١

(٢) نفسه ، ص ٢٠٢٨

(٣) نفسه ، ص ٢٠٤٥

(٤) نفسه ، ص ٢٠٤٦

(٥) انظر الاخلط شاعر بني أمية - ص ٤١ حيث يرى الدكتور سيد غازي أن الفن القصصي الذي بدأ به الاخلط قول الشعر كان الهجاء .

والهجا فلا تنهما القنان اللذان منحا مكانته لدى الامميين ، فهو شاعرهم
يدحهم ويهجو خصومهم . وقد كانت له على عبد الملك بن مروان دالة
شديدة ومكانة كبيرة - كما قلنا . يقال انه حاول ادخاله في الدين
الاسلامي ولكن الاخيار آثروا البقاء على مسيحته ومع ذلك فلم يكن مسيحيا
مدينا ، بل كان مطعونا في دينه . وله مواقف طريفة مع جرير في بلاط
عبد الملك بن مروان ويرجح بعض الباحثين * أن الاخطل كان شابا في
عهد معاوية ، وكهلا في عهد يزيد الذي لم تدم خلافته أكثر من أربع
سنوات ، مما يدل على أن الاخطل كان قد شارك الأربعين أو تجاوزها قليلا
في نهاية خلافة معاوية . وفي نهاية خلافة عبد الملك وبداية خلافة الوليد
سنة ست وثمانين ، يكون عمر الاخطل ما بين الستين والخامسة والستين
ولا يتوفى سنة اثنين وتسعين للهجرة ، الا ويكون قد بلغ السبعين
أو أكثر قليلا (١) .

وقد كان موقف الاخطل دقيقا بين الشعراء المعاصرين له وهم
جرير والفرزدق ، فهو مسيحي ، وهما مسلمان ، ولكنه عرف ما يجب عليه
جيدا ، وعرف الحدود التي يتحرك في إطارها ، فهو يعتمد عن دين
الاسلام ، ويرفض اعتناقه (٢) ، ولكنه ما كان ليحرق على هذا الدين الذي
تسعد منه الخلافة الاموية وجودها ، وقد تصامح معه الامويون فيما يحصل
بالخمر وبالعقيدة ، ولكنه على أية حال كان بحق شاعر بني أمية يدحهم
يهجو عدوهم قال عبد الملك بن مروان : " ان لكل قوم شاعرا ، وان شاعر
بني أمية الاخطل " (٣) .

وقد فضل الفرزدق على جرير ، بعد أن أمره بشر بن مروان بالحكم

(١) شرح ديوان الاخطل ، ص ٢٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤٠

بينهما ، فاشتعل الهجاء بينه وبين جرير : قال أبو الفرج : * اجتمع
الفرزدق وجرير والاخلطل عند بشر بن مروان ، وكان بشر يفرق بين الشعراء
فقال للاخلطل : احكم بين الفرزدق وجرير . فقال اغنى أيها الأمير ، قال
احكم بينهما ، فاستغفاه بجهده فأبى إلا أن يقول فقال : هذا حكم مشتم
ثم قال : الفرزدق يذمت من صخر ، وجرير يفرق من بحر ، فلم يرض بذلك
جرير ، وكان سبب الهجاء بينهما * (١)

وسمى كل ما شار به من الفصول الأربعة الثلاثة من هجاء فقد كانوا لسان
حال الدولة الأموية يمدحون خلفاءها وولاتها وإن مدحوا غيرهم للعطاس
فهم الشعراء الراسخون ، إن صحت هذه العبارة ، أو شعراء البلاط الأمير
وكان الهجاء المشار بينهم لخدمة العميلة التي كانت آثارها في صالح
الخليفة الأموية * .

(١) نفسه ، ص ٣٠٦١

وقال الاخطل بعد ح عيد الملك بن مروان في تصيدته التي مطلعها :

- ١ - خف القطين فواحدة منك أو بكيا وأزعجتهم نوى في صرفها ليسر
- ٢ - إلى امرئ لا تعدينا نوافله أظفرو الله ، قلبنا له الظفر
- ٣ - الخائن الغمر ، والميمون طائره خليفة الله يمشي به العطر
- ٤ - والهم بعد نحي النفس بمعشيه بالحزم ، والاصمعان القلب والحذر
- ٥ - والمستر به أمر الجميع ، فمسا يغتره ، بعد توكيد له ، غسر
- ٦ - وما الفسرات اذا جاشت حواليسه في حافتيه وفي أوساطه ، العشر
- ٧ - وذذعته رياح الصيف واضطربت فوق الجاجسي ، من أذية ، غدر
- ٨ - مسختر من جهال الروم ، بمستره منها أكافيف فيها ، دونه ، زهر
- ٩ - يوما ، بأجود منه ، حين ثماله ولا بأجود منه ، حين يجهل
- ١٠ - في نعمة من قريش ، يعضيون بها ما ان توازي بأعلى بنتها الشجر
- ١١ - أعطاهم الله جدا ينصرون به لا جدا لا صغير ، بعد ، محطس
- ١٢ - شمس المداوة ، حتى يستفاد له وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

الشرح :

- (١) خف : أسرع إلى الرحيل . القطين : القوم القاطنون معا في محلة أو ما اليها . زاحوا : ذهبوا في العشى . بكروا : نهوا في الغدا . أزعج : أفلق عن المكان ودفع إلى الرحيل . نوى : نية الفراق . صرفها : دفعها . غير : مشاق .
- (٢) تعدينا : نتخطانا ونغوتنا . نوافله : عطاياه .
- (٣) الغمر : الماء الكثير ، وهنا الحرب الشديدة .

الميمون طائفة : من اليمن واليمن : إشارة إلى ما كان الجاهليون يقومون به من زجر للطير ، فإن اتجهت يميناً إلى اليمين : عطاوا أو تبنوا . وإذا اتجهت شمالاً إلى الشمال ، تنابوا .

(٤) نجى النفس : ما ناجى به نفسه ورغب في تحقيقه . الاصمغان : مثنى الاصمغ : الذكر .

(٥) المستعز به : المستعز به أمر الجميع : أي يقوى به أمرهم أو يهينهم على نظام واحد . واستعز الشيء : مضى على طريقة واحدة : واستعز بالشيء : قوى على حمله . واستعزناخذ ما في فيها أمره .
يفتره : يقال : اغترته واستغترته : أتته على غدة ، أي على غفلة الغرير : الغرير . اغتر : غفل : واغتر بالشيء : خدع به .

(٦) جاشت : جاش البحر والقدر وغيرهما به جيش جيشاً وجيوشاً وجيئناً : غلى . وجاشت النفس : غشت أو دارت للفتيان . أو ارتفعت من حزن أو فزع .

حوالبه : حوالب البحر منابع مائها وكذلك حوالب العيون انفوارة . العشر : كسر د ، شجر فيه حراق ولم يقتدح النسيم أجود منه ، ويحشى في المشاد ، ويخرج من زهره وشعبه مكر .

(٧) دغدغته : دغدغت الريح الشجر : حركته تحريكاً شديداً .

الجو'جو' : المصدر . الأذى : الموجع .
غدر : جمع غدير : والغدير هو الماء الذي غاوره النسيم

(٨) مستحضر :

أكافئ :

الفرزدق (ت ١١٤ هـ)

هشام بن غالب بن صعصعة الفرزدق لفلاظة وجهه وجهه مشبه
 "أو لانه شبه وجهه بالخسرة ، وهي فرزدقة" (١) . والفرزدق تشب
 عليه ، وعشيره الرغيف الضخم الذي يجفقه النساء للفنوت ، وقيل بل هو
 قطعة من العجين التي تمط ، فيخبر منها الرغيف ، شبه وجهه بذلك
 لانه كان غليظا جهما (٢) . وكنيته أبو قراس ، ولد في البصرة ونشأ
 بها في باديتها ، وكان لهذا أثره في أخلاقه . وكان ذا حسب ونسب
 ما جعله شديد الاعتداد بنفسه ، كثير الفخر بأبائه وأجداده ، وكان
 يذكر جريرا دائما بضعة أمه ، ويفتخر عليه بما كان لأبائه من سيادة
 وشرف .

وكان الفرزدق شهما مجاهرا بحية لآل علي ، وقد مدح الامويين
 طلبا لتوالمهم ، كما مدح ولاتهم ، ويدون سيرته أن المدح كان السبيل
 الي حصوله على المال ، وأن الهجاء كان سهلا آخر ، اذا لم يكرمه
 المدح . وقد كان ذلك سهبا في سجنه ، ومن يدري حياة الفرزدق
 يلاحظ معاصره انما كانوا يخشون الهجاء ، وتحاشونه حتى لا تلمس
 بهم الملمات القبيحة التي ينسبها الشاعر لهم . وأن هجاءه عرضة للموت أكثر
 من مرة .

وقد سجن كما يقال لانه مدح عليا بن الحسين " وكان هشام بن
 عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس

(١) طبقات شعوب الشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨

(٢) الاغانى ، ج ٢١ ، تحقيق عبد الكريم ابراهيم الفرياني وآخرين ، الهيئة
 المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٧٦ .

فى الطوائف ، فقال : من هذا الشاب ؟ أسيرة وجهه كأنه امرأة
صهنية تتراءى فيها عذارى الحى وجوههم . روا : هذا على بن الحسين
ابن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق :
هذا الذى تعرف البطحا وطأه واليهت يعرفه والحل والحسيم
.. الخ القصيدة (١) .

وقد تهاجى هو وجرير فيما يعرف بالنفاش ويقال ان هجاءه
أربعين سنة دون أن يقلب أحدهما صاحبه (٢) وأكد ديوانه فى المصداق
والفخر والهجا .

وإنه ضعيف لا يمسو الى مستوى غزل جرير ، وقد خالف جريرا فى
خلقه اذ كان جرير عفيفا فى حين كان الفرزدق يتهم بمسوخ الخلق ،
وخاصة فيما يتعلق بعلاقته المحرمة بالنساء . وتذكر كتب الادب أنه طرد
من المدينة لما ذكره من أنه زار نساء ليلا ، ثم خرج بمساعدتهن بمسند
أن قضى منهن وطيره . وذلك لشعر قاله : وهو :

هما دلتان من نعمتين قامسة	كما انقم : ا. أ. الرشح كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا	أحى يرجى أم قتيل نحساذره
فقلت ارفعا الامراس لا يسمعوا بنا	وأقبلت فى أعقاب ليل أبساذره
أباد ربوا بين لم يسمعوا بنا	وأحمر من ساج تلوح سامسره

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٢) علقيا تحصيل الشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٨٩ . ولج الهجا تحوا
من أربعين سنة . لم يدر واحد منهما على صاحبه ، ولم يتهاجبا .
شاعران فى الجاهلية ولا الاسلام مثال ما تهاجبا به .

فقال له مروان : أتعول هذا بمن أنزاج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أخرج عن المدينة . فذلك قول جرير :

ع لبت ترزى من ثمانين قامة وقصرت عن بيع الندى والكمار (١)

وقته مع زوجته النوار مشهورة ، وقد حاولت الاستعانة على الطلاق من
الفرزدق بعبد الله بن الزهر ، ولكنها لم تنجح فيها سمعت اليه وقد اضطر
لطلاقها في نهاية الامر ثم ندم على ذلك ندما شديدا .

وقته مع من تزوجهن من النساء لا تغلس النوار والطراف أو هي
ساقية لهذا الغرض ، فأكثر من زوجة له " غركه " وتغلس العيش معه ،
وقصة مع النوار مشهورة .

وقال انه هو وجرير توليا في سنة واحدة هي سنة ١١٤ هجرية
وأن الفرزدق كان هو الذي تولى أولا وقد رثاه جرير ، وشيروه من الشعراء .

وقال الفرزدق يمدح عليا بن الحسين (٢)

- ١- هذا الذي تعرف البطحا وطأته والبهت يعرفه والحل والحرم
- ٢- هذا ابن خير عباد الله كلهم
- ٣- هذا ابن فاطمة ان كنت جاهلة
- ٤- وليس قولك من هذا يما يبره
- ٥- إذا رأيته فمضى قال فاعلمها
- ٦- يفتني حيا فتفتني من مهابته

(١) الاغانى ، ج ٢١ ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ وانظر ايضا طبقات شعراء
ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢١٢

(٢) انظر كتاب الاغانى ، ج ٢١ ، ص ٢١٦ ، ص ٢٧٦ ، وقال ان القصيدة
ليست للفرزدق .

- ٧ - يكلفها خيبران رخصها عيق
 ٨ - يكاد يمسك عرقان راحته
 ٩ - الله شوقه قد ما وظفك
 ١٠ - أئى الخلائق ليست فى ركايبهم
 ١١ - من يشكر الله يكثر أولاده ذاك
 ١٢ - بنى إلى دونه الدين التى قصرت
 ١٣ - من حده وإن فعل الانبياء له
 ١٤ - مشقة من رسول الله بهنة
 ١٥ - ينشق شوب الدجى عن نور عرشه
 ١٦ - من عثر حبيب دين ، وفشهم
 ١٧ - مقدم بعد كسر الله ذكرهم
 ١٨ - إن عد أهل التقى كانوا آمنهم
 ١٩ - لا يطلع جواد كنه جودههم
 ٢٠ - ينفذ فتح الشر والبلوى جهنم
- من لقد أروع فى عرشهم نعمهم
 ركن العظيم إذا ما جاء بمنظم
 جرى بذلك له فى لوحه الظلم
 لأولى هذا أوله نعمهم
 فالدين من بهته هذا ناله الأسم
 تنها الألف ومن إدراكها القصد
 وفشل أمية دانته الأسم
 طاب منار الله وأبهم والفتيم
 كالشمس تجلس عن إشرافه الظلم
 كثر وقربهم منجى ومنهم
 فى كنههم يوم يومهم والكلم
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل نعم
 ولا يدانهم قوم ولا كرمهم
 ويغرب به الإحسان والنعم

الشرح

- ١ - البطحاء : سهل واسع فيه دقاق الحصى
 ونأته : البطأة موضع القدم
 الحزم : الحزم : الحل ما حيازه الحزم ، والحزم المنطقة التى تحيط
 بالشر والحزم نفسا ولها مداحة جديدة مدروسة .
 الأريج : من عجبت حشيه ، ومباراة منظره ، أو بداعته
 الخطيم : حجر الكعب أو عداوة ، أو ما بين الركن زمزم والفسام
 منظم : واد سلم الحجر سهاما بالهيلة أو الهد

دان اطاع و دانسته الامم دانست و خفعت
بعثه : النعمة : والنعيم : شجر للنسي والسهم ينسف قلبه الحبل
الغيم : السجدة والطبيعة بلا واحد
والقسم : النعمة : الطبيعة
اعجاب : ينشق : انجاب الظلام منه انشق
كه جودهم : الكنه جوهراشي : وقدره : وفائته
يسترب : رب جمع وزاد : يسترب : يستزاد

وقال الخمرزقي بمدح عبد الملك بن مروان :

- ١ - يا أيها الراكب المزجي عطيتك يريد مجمع حاجات الراكب
- ٢ - إذا أتيت أسير المؤمنين قتل بالتحصن والعلم ، فولا غير مكذوب
- ٣ - أما العراق فقد أعطتك طاعتها وعاد يعمرها كل تخريب
- ٤ - أرض ربيت اليها ، وهي فاسدة بصارم من سيف الله مشوب
- ٥ - لا يغمد السيف إلا ما يجرده على قفا مجرم بالسوق مملوب
- ٦ - مجاهد لعداء الله ، يحسب جهادهم بضراب غير تدبيس
- ٧ - إذا الحروب بدت أنهاها خرجت ساقا شهاب ، على الأعداء مشوب
- ٨ - فالأرض لله ولاها خليفة فـ صاحب الله فيها غير مغلوب
- ٩ - فأصبح الليلى ولي الأمر خيرهم بعد اختلال وصدع غير مشعوب
- ١٠ - تراءت عثمان كانوا الأولياء له سيمال ملك عليهم غير مملوب
- ١١ - قوم أبوه أبو العاص أجاد بهم قرع نجيب لحراب مناجيب
- ١٢ - قوم أتوها على الأحسان أذ ملكوا ومن يد الله يرجى كل شهاب

الشرح :

(١) المزجي عطيتك : الذي يمسق العطية التي يركبها

مجمع : موضع الجمع

الراكب : السافرون على ما يركبونه (قائد بين الخليفة)

مشوب : مشتمل

(٦) محتسب : احتسب بكذا أحرا عند الله : اعتد به ينوي به وجه الله

محبب : محبب له أو لا .

- (٧) ساقا شهاب : ساقا نجم من الشهاب .
- (٩) صدع : الصدع : الشق أو الكسر . والقصود الفرقه بين المسلمين
غير شعوب : لا يعلج .
- (١٠) غراك عثمان : مراثيه . وثمان : هو عثمان بن عفان رضي الله عنه
الخليفة الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والامهون هم ورثه
عثمان - كما يزعم - تلوا الطلح بعد ، ، ولبسوه كما يلبس السهمال .
السهمال : القميص أو الدرع أو كل ما لبس .
- (١١) رجل حرب ومحرب ومحراب : شديد الحرب شجاع
مناجيب : رجل منجيب وامرأة منجلب ومجيبه : ولدا النجباء ،
والتجيب : الكرم الحبيب .
- (١٢) الشهب : الشواب ، كسب الشواب من الله .

وما من يصورا ندمه على طلاق زوجته النوار ،

طلبت النوار الطلاق منه ، فوافق متعجلا ثم ندم على ذلك فقال
هذه الايات :

- ١ - ندمت ندامة الكمى لما غدت تمنى مطلقة نوار
- ٢ - وكانت حتى فخرجت منها كآدم حين لج به الضرار
- ٣ - وتنتعاقى عنيه عمدا فأصبح ما ينى له النهـ
- ٤ - ولا ينى بحب نوار عدى ولا كلفى بها الا انتحار
- ٥ - ولو رضىت يدى بها وقرت لكان لها على القدر الخيار
- ٦ - وما فارقتهما شهما ، ولكن رأيت الدهر يأخذ ما يحار (١)

الشرح :

- ١ - الكمى : شخص ضرب به الشلل فى الندم على ما فعل
دمس على أنفى طلقت زوجته " النوار " كما ندم الكمى على ما فعله
- ٢ - لج : ألح .. والضرار : المخالفة والمعصيان
يقول كانت " نوار " حتى ، وهذا تشبيه جميل يقصد به صدى
علقه بها وجه لها . فطردت أو خربت ، كآدم حين خالف
أمره ، فأخرج من الجنة .
- ٣ - انى وتطلقى النوار ، كشخص نقا عنه عمدا متعمدا ، فأصبح نهاره
مظلم لا ينى ، أى صار أعمى ، فكان النوار كانت عينه فقأها بيده

(١) انظر الايات مع بعض الاختلاف . طبقات مخول الشعراء ، ج ٢ ، ص ٢٩٠
سابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، وانظر ايضا الاغانى ، ج ٢٠ ، مرجع سابق
ص ٢٩٠

٤ - يوفى : بمدل ٠٠ كلف به : أوسع به • الكلف : الرجل العائس
ولا بمدل حب " نوار " ولا ولمى بها ، وعشى إياها الا الانتحار •
أي قتل المرء لنفسه •

• - قنرت : نهشت ومكنت

الخيار : الاختيار

ولم أكنى رضيت بها زوجها ولم أطلقها لكننى فى تلك الحالة قد
اخترت على قدر أئى لاستطاعت نفسى أن تختار وأن ينزل القدر على
إرادتها •

٦ - وما فارقت " النوار " شعبنا ، ولكن رأيت الدهر يأخذ ما يمار السى
الناس من نعم وغيرها •

الراعى النمسي

" راعى الابل ، واسمه عبد بن حصين بن جندل بن قطن ابن بن ظهير بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير ، سمي راعى الابل ، لكثرة صفته للابل . وحسن نعته لها . فقالوا ما هذا الا راعى الابل فلزمته . (١) وكان سيدا شريفا في قومه ولكنه فضل الفرزدق على جرير فأغضب جريرا (٢) ، ويذكر الاغانى نعته مع جرير باسمه ابن جندل جريرا حاول أن يفتح الراعى من غنم الفرزدق عليه ، فبينما هو يحادثه إذ قد ابنه جندل ، فسب جريرا ، وضرب بغلة ابنه بسوط فروع جريرا فأما قطعت ظنونه . وتوقع جرير أن يعود الراعى ، فاعتذر عما يسدر من ابنه ، ولكن الراعى لم يفعل ، ما اضطر جريرا إلى قتلها لئلا يفسد محاولا أن ينظم في هجاء الراعى قصيدته فكف عن غنم الفرزدق عليه وقد نظمها في ثمانين بيتا وقد ختمها بقوله .

ففسخ الطرف منك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبير وقال : أخذه رب النعمية . ثم هجاء بالقصيدة التي كان لها وقع شديد على نفسي حتى نمير (٣) . وقمن بن سلام بن الراعى ، وهما بن الامويين الثلاثة الفحول جرير ، والفرزدق ، والاختيل . ويقولون : ومن خالف في الراعى فليل ، وكأنه آخرهم عند العامة . (٤) وقد دافع الراعى عن قبيخته بما كتبا إلى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان عامس الصدقات ، لما أنزلته من ظلم قبيخته : وهي قصيدة تكشف عن ادراك الشاعر

(١) غلبا - محمول الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(٢) الشعر والشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥

(٣) الاغانى ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨

(٤) غلبا - محمول الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٩

للوضع الجديد الذي يعيشه الناس في ظل الخلافة ، كما يكشف عن ثقافته الدينية ، ووعيه بالحقوق التي كفلها الاسلام للمسلم . وكذلك وعيه بواجبات الحاكم من اقامة العدل ، وكف الظلم .

الراعي النسيى يتكوى عامل الصدقات

- ١ - أبلغ أمير المؤمنين رسالته تتكوى إليك مغلةٌ يحيى بها
- ٢ - أظلمة الرحمن انا معتكّر حنفاً نتجّد بكثرة وأمهلاً
- ٣ - غريباً نرى الله في أموالنا حق الزكاة مغزلاً تنهياً
- ٤ - إن السعاة عموك يوم أمرتهم وأنوا داهى لو علمت هؤلاء
- ٥ - أخذوا العريف فقلعوا حيزوقه بالاصحبة فلقوا مغلولاً
- ٦ - حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ، ولا لقولاد ، معقولا

الشرح :

- (١) مغلة : أرض مغلة ، ومغلة : يضل فيها الناس . ويهل : يكثر .
- (٢) الحنفاً : جمع حنيف ، والحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام . والحنف : الانحاشة .

- (٤) غولاً : الغول الهلكة والداهية ، والغبية السعاة : جباة الزكاة .

- (٥) العريف : شيخ القبيلة . الحيزوم : الوسط ، أو المدر أو وسطه مغلولاً : مقبداً . الاصحبة السباط

- (٦) بصور شدة الضرب والتعذيب الواقع على شيخ القبيلة ، وكيف انه مرق لحماً ، بل ذهب به حطمة ، وتركه عظاماً عارية ، كما يصور مدى الفزع الذي أصاب غظه حتى ذهب ذلك العفر أي أنه أصيب بالجنون لفقدان المصداق .

- ٧ - جاءوا بكمهم وأحذب أسلكت منه السباط يرأسة إجنهيسلا
٨ - أخذوا حمولته وأصبح قائدا لا يستطيع عن الدبار حيسلا
٩ - يدعو أمير المؤمنين ودونسه خرق تجرته الرياح ذهولا
١٠ - كهدا هيد كسر الرأسة جناحه يدعو بقارعة الطريق هدبلا
١١ - أخليفة الرحمن أن عشرتسى أسى سوامهم عن فلسولا
١٢ - قوم على الإسلام لما بمنعوا ما عونهم ، هفتيموا التهلل
١٣ - قطعوا الهامة بطردون كأنهم قوم أصابوا ظالمين فتهب
١٤ - يحدون حدبها ماشلا أشرافها فمى كل مقربة يدعن ريسلا

الشرح :

- (٧) مكهم : العلك : الصحيفة الخاصة بالصدقات
اليرأسة : الجبان . الاحذب : البارز الظهر الداخل البطن . والاجفيل :
الجبان .
(٨) أخذوا حمولته : الحولة : ما يحمل عليه من الدواب . حملا : تحولا
(٩) الخرق : القلعة أو الدحراء .
تجربة الرياح ذهولا : كناية عن شدة عصف الرياح بها .
(١٠) هدا هيد : الحمام الكثير الهددة . وهدهد الطاهر : قرقر
هدبلا : صوت الحمام .
(١١) عشرتسى : قوس : سوامهم : الأهل نزعى . غرس : متفرقة من قتلها وهزالها
(١٢) على الإسلام : أى هم مسلمون . ماعونهم : يقصد الزكاة . التهلل : قول
لا اله الا الله .
(١٣) بطردون : الطرد . الأيماد : والطرد : ضم الأهل من نواحيها
(١٤) حدب / يقصد الأهل . الأشراف الاستعنة
الرميل : القطعة من الخيل القليلة العدد . أو قدر المشركين أو الخيصة
والمنظرون وقد عكس من البحر .

- ١٥ - شهرى ربيع ما شذوق نبوسهم الا حموضا وخمة ودبها
١٦ - وأناهم يحيى فشد عليهم عدا يراه المسلمون فمبلا
١٧ - كنها تركس غيبهم ذا علبسة بعد الفنى وقهرهم مهبزولا
١٨ - إن الذين أمرتهم أن يعدلوا لم يفعلوا بما أمرت فتمكلا
١٩ - أنب الخليفة بده ونواله وإذا أردت لظالمهم تكبلا
٢٠ - فادفع مظالم عمالت أبنا عنا وأنقذ شلوننا الماكولا
٢١ - فترى عطية ذاك إن أعطيتهم من ريشا فضلا ومنك جنكلا

الشرح :

- (١٥) الحمضى : ما طلع وأمر من النجات • وحضت الأيل حمضا وحموضا :
أكلته الحصى الرخمة : والوخمة ، وموخة : لا تشجع كلاًها • وطعام
وخيم أكبر موافق •
ابن اللبون : ابن الناقة ذات اللبن غيرها كان أو قليبلا •
وابن اللبون : ولد الناقة إذا كان فى العام الثانى واستكمل أو إذا دخل
فى العام الثالث • والاشى : ابنة لبون •
(١٦) العقد : ما كتب عليهم من المدقات
(١٧) الكتب : ما يكتب فيه ، والصحيفة ، والمقصود الصحف المدون فيها
ما قدر عليهم من المدقات • القبله • القفر •
(١٨) فتيلا • ما يكون فى شق النواة
(١٩) الكوال : العطلا • التكيل تكيل به تكبلا : صنع به صنعاً
بحذر غيره •
(٢٠) عمالت : من التعميل : وهو سوا القدا •
وشلوننا عضونا
(٢١) الفضل : • العزىل الكبر من الشى

وهي رأيت أن الفصل بين غزل العذريين وأصحاب الغزل الحضريين وبين
ما يسميه الباحث بالغزل التقليدي ليس فصلاً دقيقاً ، لأن لدى جرير مثلاً
غزلاً لا يقل في بعده عن الشهوات والحس عن غزل العذريين ، يقول
مثلاً :

ألا أيها السوادى الذى فتم سيله	الينا نوى ظميا حبيبت واد بها
إذا ما أراد الحى أن يفرقنا	وحنت جمال الحى حنت جمالها
فما لبت أن الحى لم يترانا	وأسى جميعاً جيرة متانها
إذ الحى فى دار الجميع كأنما	يكون علينا عيد أن جيرانها
إلى الله أشكو أن بالفور حاجة	وأخري إذا أبصرت نجداً بذالها
نظرت برهسى والظعان باللسوى	فطار برهسى شعبه من فوادها
وما أبصر النار التى وحت لنا	مرا جفاف الطير إلا ناراها
إذا ذكرت لى أنج إلى الهوى	على ما ترى من هجرى واجتبابها
خليلى لولا أن غطنا بى الهوى	لقلنا سمعنا من عقبة داعها
فما سمعنا صوت المنادى لعلنا	فربما ما ناديت بالسود داتها
ولو أنها شامت شفتى بهتني	وإن كان قد أعبا الطبيب الداهيا
فانك أن تعطى قليلاً فما لك	منعت وحلات القلوب المودها
دعونا فى الطير اسمحتن بعد ما	شمس ووليس الخدود والمعواسها
إذا اكتسبت عسى بعينك مسنى	بشير وجلسى غمرة من فوادها
وبأمرى العدال أن أغلب الهوى	وأن أكرم الوجد الذى لى خافها
فما حسرت القلب فى امر من بوى	فربما وتلقى خبره منك ناهيا
بمهرتى إلا حلاف لى وأفلسك	على ولى لى فودن حبيبها

تخطى الهنا من بعيد خيالها يسوء خدارها من الليل داجها
فحييت من سار خلف مؤنسها مراراً على ذي حاجة مفرغها (١)

فهذا الغزل لا يختلف عن الغزل العذري في منحاء ، وفيهم يورد فيه من التعيير عن العواطف والمناظر ، يلاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر لا يتعرض لوصف جسد المرأة إطلاقاً من قبل الشاعر العاشق مع أنه يورد في مقدمة القصيدة وهناك شعراء آخرون يقولون غزلاً كالعذري مثلاً يقول المتوكل اللبي غزلاً لا يختلف عن غزل العذريين فيها يكشف عن نفسه من صدق الشاعر ، والاحساس بالتهيلة ما يوهي رأينا في أن الغزل لا يكن أن يختلف في حدود العذرية والحضرة على القسمة المألوفة . فهذا الشاعر قد طلق امرأته ولكنه يقول فيها غزلاً يصور عواطفه صادقة نحوها ، مشدداً الطير كالعذريين الذين يمدو خلايقهم معه راجعاً إلى اختلاف أسلوب الشعراء لا إلى اختلاف طبيعة الغزل ، يقول :

طربت وشاقني يا أم بكسر	دعا حمامة دعو حماما
فشيهات همى لى نجمها	أعزى عنك قلبا مستهاما
إذا ذكرت لقلبك أم بكسر	سبيت كأنما اغتبق الدامما
خد لجة نرف غروب فبهما	وعسو المثنى ذا الحصل سخامما
أى قلبى فما بهوى سوامما	وان كانت مؤدتها غرامما
بنام الليل كل خلقت همم	وتأبى العين منى أن تانما
أرأى الطالبات من الدنيا	ودمع العين متعذر رجاما
على حين ارتفعت وكان رأى	أن على شارفت منامما

(١) الظفى على بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتشوق والمحمود ، دار الفقه ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦ ، ص ٥٩ ، ٦٠

يروي أبو الفرج خبراً آخر ينكر وجود مجنون بنى عامر ، صرى أن
الشعر متحول عليه ، يقول : " المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس
له فى بنى عامر أصل ولا نسب " . وقال الجاحظ : ما ترك الناس
شعراً مجهول التأثيل قيل فى ليلى إلا نسبوه إلى المجنون ، ولا شعراً
هذه مبهمة قيل فى ليلى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح . (١) وهذا
يدل على أن شعراً المجنون قد اخلط بشعر غيره أو أصابه التحريف .
هذا لا يلقى وجوبه ، وقد لطن أبو الفرج إلى أن شعر العذراء
فيه بعض الخلط ، فتجد شعراً معيها ينسب لشاعر أو أكثر ، صرى ما حقه
ما قد ينقله من هذا الخلط نغلا عن الرواة . فيقول : " وأنا ؟
ما وقع إلى من أخباره جلا مستحسنة ، مبرثا من العبدية فيها ، فإن
أكثر أشعاره المذكورة فى أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره ، وينسبها
من حكيت عنه إليه ، ولذا قدمت هذه الشريطة برئت من مذهب طائفة من المتأخرين .
للعيب . (٢) "

ينطلق الدكتور طه حسين من أفكار أبي الفرج التى تذكر أن مجنون
ليلى لا وجود له فى الواقع ، وأنه شخص مخترع حصل عليه بعض الأعراس
أشعاره حتى يخفى أمره . يقول الدكتور طه حسين : " لست أشك فى
أن عمر بن أبى ربيعة شخص تاريخى ، وفى أشعاره من التسويب إليه
صحيح مدرغه حقا ، وأن شخصيته كانت فى عصره كما نطلبها نحن الآن ،
أو على نحو ما نطلبها نحن الآن ، وكذلك قيل فى " كثير " ، وكذلك قيل
فى " عبيد الله بن قيس الرقيات " ، ولكنى أشك الشك كله فى أن يكون
قيس بن الطموح شخصا تاريخيا وجد وعرفه الناس واسموا إليه ، وفى أن

(١) الأغاني ، ج ٢ المصدر السابق ، ص ٤٢٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٩

يكون هذا الشعر المنسوب اليه صحيحا قد صدر عنه حقا ، وأزعم أن قيس ابن الطوق خاصة إنما هو شخص من هؤلاء الأشخاص الغياليين الذين يخترعون الشعوب لتشبه فكرة خاصة ، أو نحو خاص من أنحائها (١) .

ولا يتجاوز الدكتور طه حسين ما ذكره أبو الفرج في مطلع حديثه عن مجنون بني عامر الذي أوردناه آنفا ، وذكر أبو الفرج - أيضا - خبرا عن يقول : " . . . سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدنا أحدا يعرفه . " (٢) وهذا الخبر ينفي وجود الشاعر ، ونقل خبرا آخر عن أحد بني عامر الذين ينسب إليهم الشاعر يقول فيه : " قلت لرجل من بني عامر : أنتعرف المجنون وتروي من شعره شيئا ؟ قال : أوجد فرثا من شعر المغلا حتى نروي أشعار العجائين ، انهم لكثير ، فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنما أعني مجنون بني عامر الذي قطعه العشق ، فقال : هيهات ، بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه البهائية الفعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصلبة رؤسها ، فأما نزار فلا " (٣) يقول أبو الفرج أيضا : " حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه قتي من بني أمية ، كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ، وقال الأشعار التي يهوى الناس للمجنون ونسبها اليه . " (٤) وهذه الاخبار كلها تجمعل بوجد أبي الفرج صحيحا ، ولا يحتاج من يصحح له ذلك التوقف .

وتصير أشعار المجنون المادقة الاحاسيس التي يوردها صاحب الاغانى جزءا لليلي ومعدة عن كل رغبة جديدة ، أو مادة بوجه عام ، كقولها :

(١) طه حسين ، حديث الانبياء ، ج ١ ، طبعة ١٢ ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٦
ص ١٧٥

١ الاغانى ٨٥ مرجع سابق ص ٤٢

٢ مرجع ص ٤٢٠ ، ٤٢١ (٤) نفسه ص ٤٢٢

هو الله ، ثم الله إنسي لداصب
ووالله ما أدري علام فتنسبني
أقطع حل الويل فالموت دونه
أم احسب حتى لا أرى لي مجاورا
فأيهما بالهمل ما ترتضيه نكته
فإنسى لظلموني وإنسى لمعتب (١)

وما يصور الآله وأخلاقه ومعانيه قوله :

وأحسب منك النفس والنفس ميم
مخالفة أن سمعي الوشاة بظني
لقد جعلت نفسي مد وأنت اجترمت
فلو شئت لم ألصق عليك ولم يزل
أما والذي يلو السرائر كلها
لقد كنت من عطفى النفس كله
بذكراك والمضى اليك قريب
وأحرمكم أن يمتريب . . .
وكنتي أكره الناس - عك عطفيت
لك الدهر مني ما حيرت نصيب
بعلد ما تهدى به وتغيب
لها دون خلان الصفا حبيب (٢)

ومن أتمار جميل التي عد على هذا اللون من الحب الصادق ، إليهم
عن الغرض والهوى قوله مصورا حبه لهيئة :

صادت فؤادي بأشمن حالكم
منيتي فلهجت ما منيتني
وشاقلت لمتا رأيت كلني بها
وأطعت لي عوازلا فهجرتني
بسم الحجون وأخطأتك حيا على
وجعلت تطاول ما وعدت كأجبل
أحب إلي من متافيل
وصبت فلك وإن جهدن عواذ ليس

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٣٨

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٧٥

حاولتني لا بُدَّ جَمَلٍ وَهالِكُم مَنِّي ، وَلَسْتُ وَلِيَّ جَهْدٍ تَهْ بِفَاعِلٍ
فردتَ تهنٍ وقد سَعَتِ بهِمِرِكُم لما سَمِعَ لهُ بِالْحَقِّ تَامِرِل
يَعْقُظَنَّ مِنْ غَبِطٍ عَلَى أَنَامِلَا يود تَهْفُظَنَّ مُمْ جَنَابِل
وَقَلْبِي إِنَّكَ بِأَيْمَنِ بِخِلَاسَةِ نَفْسِي قَدْ أَفَكَ مِنْ قُنَيْنٍ بِأَخْلِل (١)

وقد كان هذا الغزل العفيف أو العذري موضع إعجاب الباحثين ، لما تحفنه من قيم إنسانية نبيلة ، ومن تعلق بأمرأة لا يفتى بها العاشق بدلا - فحاولوا الكشف عن أسبابه ، وقد سبق أن ذكرنا التفسير الاجتماعي بعد الاسلام ، وقد ذكر الباحثون ذلك وغيره . فورد استاذنا الدكتور شوقي ضيف تلك الظاهرة الغزلية العامة التي تتجاوز قبيلة عذرة التي ينسب اليها ذلك الغزل التي غيرها ، يرد ذلك الغزل الى الاسلام " الذي طهر النفوس ورواها من كل اثم " ، كما رده الى يد أمة أصحابه وما يجمعهم من اللهب والميث . (٢)

ويرد الدكتور شكرى فيصل الغزل العذري الى حسن اسلام أصحابه وقوامهم ومتممين في ذلك بمعنى من آي القرآن الكريم ، أما الغزل الحظري فهو غزل قوم يخلسون طبقة متحصنة تضع فيها نساء ولا ذها فوق كل شيء في حين نسيبت نصيبها من الاخرة مقدمة عليه نصيبها من الدنيا (٣) فيصل الدكتور شكرى فيصل يمين هذين التوجهين من الغزل وهين ما يجمعه الغزل التقليدي الذي كان يدير في فضاء جبر والفرز والاختلال (٤)

(١) الاغانى ، ج ٥ ، مصدر سابق ، ص ٢٨٤٧

(٢) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩

(٣) الدكتور شكرى فيصل ، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، طبعة ١ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٨١

الفضل
في العصر الأموي

الفضل في عصر بني أمية

كان للتغير الحضاري الذي أحدثه الاسلام في المجتمع العربي ، أثره على الشعر بوجه عام . وقد أصاب هذا الاثر شعر الفضل ، حقا ظلت كثير من القيم الجمالية القديمة قائمة وذلك فيما يحمل بالجمال الجسدي للمرأة ، لكن تلك القيم اتصلت بقيم أخرى جديدة جاء بها الاسلام ، وتغير المجتمع ، فربنا في ذلك العصر ضربين من الشعر يعرف الاول منهما بالفضل العذري ، والثاني بالفضل الحضري . والفضل العذري يمسك شعراؤه بالعلقة والتعلق بمحبة واحدة تعلقا غريبا ، حتى ليصح الحب وكأنه غلبة في ذاته ، والمرأة فيه توصف بالعلقة والطهر ، والهدوء من الريبة ، ولا يطلب الشاعر في هذا الحب الجسد ولا معنى اليه . وحسبه أن يلقي بمحبته ، وأن يثبثا شكواه ولو أعجبه ، وأن يستعس الى ثبثا وشكواه . وقد ذكر في هذا المجال عدد من الشعراء مثل مجنون بني عامر ، وجبل بنية وكثير غيره .

يبدو أن بعض أشعار هؤلاء الشعراء كانت بوجهة الذ يتقل ما حسب الاقاني مثلا أن الجاني في بني عامر كثيرين : " حدثنا الامعي قال : سألت أمراؤها من بني عامر عن صفة من المجنون العامري فقال : عن ليهم سألتني ؟ فقد كان فيها جماعة رموا بالمجنون ، فمن أيهم سألت ؟ قلت : عن الذي كان يشبه بليلي ، قلت : فأنشدني لبعضهم فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون :

ألا لي يا القاب الذي أشج حاشا بنيني ونهد : ثم خضع حاضه
أفقد أفاق الماشقون وقد أنسى لك اليوم أن تظن طيبا غاضه
أجده لا تسميه ليس سبيقة " ثم ولا عهدا يطول غاضه (١)

(١) الاقاني ج ٢ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢٤

سعى الواسون حتى أزعجوها
 فليس يرأسل ما دمت حبسها
 نرجبها وقد شحطت نواها
 خذلجة لها كفل وثمر
 مخرصة ترى في الكشح منها
 إذا ابيضت لئلا فو يبرق
 وإن قامت تأمل رايهاها
 إذا عفى تقول دهب أكرم
 وإن جلمت قدسية بيت عميد
 فلو أشكو الذي أشكو اليها
 أحب دنيا وتحب نايبي
 كأنى من ذكر أم يكر
 تناقض أنفاس نفس عليها
 غشيت لها منازل مقصرات
 ونوها قد نهى جانهاها
 صليتي ولطفي أنسى كريم
 وإنى ذو جامعة صليتي
 فلا وأبيك لا أنفك حتى
 فرت الحبل فانجدم انجداما
 يمشى من ذكرها هياما
 ومنشك المنى عام قداما
 ينو بها إذا قامت قداما
 على ثقيل اسفلها انهاما
 تهلل في الدجنة ثم داما
 غامة صيني ولجنتهاها
 تخرج ساعة ثم اسفلهاها
 نعان ولا ترى الا لاماها
 الى حجر لراجمنى الكلاما
 وتعتام التابى لى لغتهاها
 جريح أسنة يشكو كلكما
 إذا سحطت وتغنم لغتهاها
 غشيت الا الأماير والشامكا
 وينهاها بذي سلم خياما
 وأن خلاوتى خلطت قراما
 خلقت لمن بها مكنى لجاما
 تجاوب هامتى في المهر هاما (١)

(١) الأغاني ج ١٢ ، صور عن دار الكتب ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ ،
 ص ٤٢٢٧ - ٤٢٢٨ ، وانظر قصيدة أخرى له المرجع نفسه ، ص ٤٢٢٨
 - ٤٢٢٩ .

وانما هدفنا هنا ألا نضيف الفيزل على أنه ثلاثة أنواع ، فيسزل
عذري وفيزل حضري ، وفيزل مقدمات قصائد ، فقد تحول القصيدة فيسز
القدمه التي فيزل لا يختلف عن الفيزل العذري ، كما قد يقول الشاعر
الحضري الذي يفتري فيه أنه شاعر مادي ، فيزلا كالفيزل العذري كما
فصل عمر بن أبي ربيعة (١) وقد جاء تقسيم الفيزل الى أقسامه الثلاثة
المذكورة عند الدكتور طه حسين (٢) ثم سار الدكتور شكرى فصيل على
نفس المنهج (٣) .

وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك اختلاف بين هذه الاتجاهات
الثلاثة ، فلابد أن يوجد الاختلاف بحكم اختلاف طبيعة الشعراء في الموهبة
والقدرة ، والاسلوب ، ولكننا - نرى - أنه لا توجد فواصل حقيقية
بين هذه الأنواع الثلاثة من الفيزل .

ونعبر في خلال هذا الموضوع لموقف الدكتور طه حسين من حقيقة
وجود شعراء الفيزل العذري ، فالدكتور طه حسين يرى أن شعراء الفيزل
انما اخترعوا اختراعاً من أجل أن يحققوا وجود الفن القصصي المتصل
بشلية الجأمة . ودارنه بالفن القصصي الحديث . فيقول : " وأنا أريد
أن أقدم مكان فيسز من الطنوح ، وفيسز من ذريح ، وجميل بن معمر ،
وعروة بن حزام أنبياء لا أشخاص ، أو بمسألة أدق ، أريد أن أقدم مكانهم
شيئاً واحداً هو فن القصص الغرامسي الذي اعتقد أنه ظهر ، أو على
أقل تقدير ، في عظم أمره إلهام بشي أمية ، وأخذ ينظم شيئاً فشيئاً
حتى كاد يكون فناً مستقلاً على نحو ما نرى من فنون القصص الغرامسي

(٢) انظر د عبد القادر القط في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ،
ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) حديث الأرماء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

(٣) عظم الفيزل بين الجاهلية والاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

فى الادب الحديث . فليس يعنى أن يكون شخص فليس من الطبع تاريخها أو غير تاريخي ، وإنما الذى يعنى أن هناك قصة غرامية ، هى قصة فليس بن الطبع ، وقصة غرامية أخرى هى قصة جميل بن معمر (١) .

وإذا كان العقل يقبل أن يخطف الشاعر فى اسم شاعر أو جود . فأنه يقف طويلا أمام أن تكون جماعة من الشعراء لتتظم أشعارا أمثلة ذا جودة فنية عالية ، وتنسبها إلى غيرها لتتكون من إقامة قصة غرامية (٢) . ولأن أن نقابل لماذا لم تأخذ هذه القصة فى صورة نثرية ؟ وما الحكمة . كونها تتكون من الشعر والنثر ؟ ولما كانت تلك الأسطة يمكن أن يجرى عليها بالقول بأن هؤلاء الشعراء وجدوا ، ونظموا أشعارا بالخيال الشعرى استطاع أن ينسج حولهم هذا القصص العسير ذلك الشعر فهو يرى أنه قد وجد قصة عاطفية تعتمد على الشعر والنثر ، فقام بها السواة والقصاص لا الشعراء الفيزليون ويؤمن أن الهدف من إنشاء تلك القصص كان عسير شعر الشاعر وخاصة وأن أخبارهم يفسد عن طريق الرواية الشفوية ، ولعل هذا ما دفع الدكتور شوقي شيد الذى اعتبر هذه الأشعار ضربا من الادب الشعبي . يقول : " . . . ولعل هذا ما يلفتنا إلى أن هذا الفيزل العذرى العفيف الذى شاع حينذاك إنما كان ضربا من الادب الشعبي المكسوفى اللغة العربية ، فأصابعه مجهولون ، وقد صحته أفاصح ككبيرة فلم يكن شعرا خالصا . (٤) .

وصى الأستاذ العقاد أنه كان لشعراء الفيزل العذرى وجود حقيقى وأنهم وجدوا كثرة طيبة ليهتهم وصبرهم : " فهم جميعا ثمرة عهد

(١) حديث الأربعة ، ج ١ ، ص ١٩٢

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٩

(٣) نجيب محمد البهيبي ، تاريخ الشعر العربى حتى أواخر القرن الثالث الهجرى دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ١٩٨٢ ، ص ١٦١ ، ١٦٧

(٤) العصور والتجديد ، مرجع سابق ص ١٠٨

لا بد أن يشعرهم ، وإنما وجه العراية أن تنبأ أسباب ظهورهم ولا يظهرها
وليس وجه الغرابية أنهم ظهروا في تلك البيئة وذلك الزمان .

وقد تنبأت تلك الأسباب كل التنبؤ كما لخصناها في بعض فصول
هذا الكتاب ، فهم إذ شخوص طبيعيين تحيط بهم أحوالهم الطبيعية ، ومن
هذه الأحوال الطبيعية ، أن يتعرضوا للخلط والتأني ، أو للروايات
المشابهة عن هذا وذلك . (١) وهكذا يرى العقاد أن تعرض أخبارهم
للخلط ، وللروايات المشابهة ، لا يلغى وجودهم الحقيقي .

وما ينتسب للشعراء القذريين ونكسره ألد كثر طه حسين أن الشاعر
كما هو معروف - كان يحسم من محبوبته إذا قال فيها فيزلا . كما يرى
أن هذا كان من صناع الرواة ليعرض في يمتل بنا القصة الغرامية
ليخلقوا منها أشخاص قصصهم ولشلية جماعتهم (٢) .

وإذا كانت هناك مشابه ظاهرة بين قصائد الغزل العذري أدت إلى
اختلاط اشعارهم وتشابهها ، فإن ذلك التشابه يرجع إلى ومرون بجملة
واحدة ، ولأنهم لم يكونوا يكتبون بشعرهم ، مدحا لطيفة أو وال ، فأنهم
لم يحتفلوا احتفالاً كبيراً في الصياغة ، وإنما احتفلوا بالصدق في التعبير .

وقد طبق طه حسين هذا المبدأ من النقد الفرنسي ، والذي يكون
من العصر والبيئة والجنس ، وهو يدرك أدراكاً تاماً للعلاقة بين الشعر
- أو الأدب بعامة - وبين عصره . ولكننا نعتقد أن " جميل " و " كهيرو "
وبعضهما من العشاق كانوا أشخاصاً حقيقيين ، جددوا في العصر الأموي

(١) عباس محمود العقاد ، جميل بثينة ، دار الشعب ، القاهرة ، د . ت .

(٢) حديث الأديب ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

وإن سقوط بعض المعلومات عن بعض الشعراء منهم ، أو اختلاف الناس في أسم بعضهم ، لا ينفي وجودهم ، وخاصة وأن الدكتور طه حسين لا ينكر وجود جميل وكثير مثلاً .

ولمّا لقاعدة طه حسين في بيان أثر البيئة على الشعر ، فلا بد أن تكون للبيئة البدو الطولية في تحديد سمات الشعر وخصائصه ، فالشعر ليس إلا طبيعة لحاجات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ثم يبرز لشأنه الفزل العذري بما أصاب البدو من ظلم أو غيبي ما كانوا يومئذ من الزكاة والفرائض بعد أن أسلموا ، فبم لم يعطوا من أسلامهم إلا العقيدة ، أما أحوالهم فلعلها ساءت بهم . ولعلهم السى أن يطلبوا الفزل الفلى في الفزل بفعل الدين الإسلامى ، وفعل ما يفرض عليهم المجتمع ^(١) ، يقول : " لم تنفرد حياتهم المادية في جلتها ، بل ظلوا يفتون من الضيق ، ويقاسون من الشظف مثلاً كانوا يفتون ويقاسون في العصر الجاهلى . أما حياتهم العقلية والمعنوية - بوجه خاص - فقد تغيرت تغيراً شديداً " ^(٢)

ثم يرد الى عدم التوازن بين التواشى المادية للحياة والتواشى المعنوية فيها ، والمتنقلة فى ما جاء به الإسلام ، ما شعر به أولئك الناس من بأس أدى الى ظهور هذا الفزل للتعبير عن هذا الموقف ^(٣) . وما حل بأولئك الشعراء العذريين ، حل بأخوانهم الأمهين من شعراء الفزل العذري فقد حيل بينهم ، وبين السلطان ، ومنعوا من مفادرة الحجاز فزل بهم بأس شبيه بأس العذريين ^(٤) .

(١) انظر حديث الأعمام ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) ، (٣) المرجع نفسه ، ص ٢٢١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤٠ - ٢٤١

البيشة اذن أوجدت الغزل المدري في بيشة البند والفقراء الذين
 أرادوا أن يلائموا بهيم ما تنزل بهم من فقر في المال بسبب الزكاة
 والفرائض وما أفادوه من حياة عقلية وروحية جاء بها الاسلام .

ولم يكن طه حسين وحده هو الذي ألغى البيشة في الشعر الاسلام والبيشة
 على الشعر . فقد اتجه استاذنا الدكتور شوقي ضيف الى الاتجاه
 نفسه . فاستغل عصر البيشة استغلالاً طيباً وواسعاً في كتابة التطوير
 والتجديد في الشعر الاموي ، كبيشة الحجاز ، ونجد والعراق ، ليتابع
 التطور الذي حدث في هذه البيشات بعد الاسلام (١) .

والنوع الثاني من الغزل هو الغزل الحضري ، وهو غزل بهيم
 بما يقع من لقاءات عادية بين العاشق ومحبته ، والشاعر في هذا
 الغزل يتغزل بامرأة متحضرة نهواء ، ربما تعرف له هي بادرة بالغزل
 وشو بهيم فيها ودلالاً ، وقد كان أولئك الشعراء من الارستقراطية
 القرشية ، ومن أكثر الناس ثراءً وفراغاً ، وجمالاً ، وربما غوسية أيضاً .
 وربما هذا الغزل هم عصر بني زينة ، والاحوص ، والعرجسي .
 وقد كثر في أشعارهم ذكر الرسل التي المرأة التي يحبونها داعية
 المرأة لزيارة الشاعر ، أو داعية الرجل لزيارة المرأة .

أما تصدى النساء لعصر ، فيظهر من قوله

فالتأثر بها تحدثها
 قالت محبدي له لمعرفتها
 لتفتن الطواف في عصر
 ثم لغيره يا أحسن عصر

(١) د . شوقي ضيف ، التطوير والتجديد في الشعر الاموي . طبعة ٥ ،
 دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢ - ٧٠

فالتعليق قد غرسته لاهي - ثم اسطررت تحتد في كسري (١)

وقد تعرفت أخبار هؤلاء الشعراء - كما هو معروف - لوضع والتهديد
لان الناس في تلك العصور كانوا يرون في أخبار الشعراء - وخصوصاً
مجرد أسماء - يلهون بها ، وتضرب لذلك مثلاً من ترجمة كتاب الاغانى
لهذه الاخير حيث يذكر لنا الاخير وقد بقي له لجارية عول شعراً
يمرر عن شاعرها ، يرد عليها الاخير شعر ، ثم تعود قصتها الى
تلقى في أنها كانت أسيمة عند سيدها ، ثم تزوج زوجها (سيدها)
بأنه عم له ، فنزلت منزلتها عند من محبوبة الى خادمة ، فولد لها
أن يكلمها الخليفة عنها حتى يشتريها لتضمن أحوالها ، وينفذ أن ما رآه
فشتريها الخليفة ، فتعيش في قصر خاص أعد لها ، ولا ينتهي الأمر
عند هذا الحد ، بل أنها أيضاً تعطي الاخير وقد يقدر العطايا . (٢)
ولكن صاحب الاغانى بعد أن يورد تلك القصة ، يرفضها لأنها متنوعة
وأن ما بها من شعر ليس من طراز شعر الاخير . يقول : " كظن القصة
كلها متنوعة ، وليس يشبه الشعر شعر الاخير ، ولا هو من طرازه " . (٣)

وكما قلنا فان هذين الضميرين من الغزل لا يختلفان اختلافا جوهرياً
عن الغزل في مقدمات الموائد ، وأن بينهما وبين ذلك الغزل مشابهة ،
كما أن بين شعر العذريين والضميرين مشابهة كذلك .

ومن المماثلة بين غزل العذريين والضميرين ، ما يمزج فيه الشاعر
العذري والضمير بين عاطفته ورازته للمرأة ، وشجاعته . فالحب والشجاعة

(١) الاغانى ، ج ١٢ ، صورة من طبعة دار الكتب المصرية . المؤسسة المصرية
العامة للكتاب والترجمة والنشر والطباعة ، ص ١٢٢

(٢) الاغانى ، ج ٢١ ، تحليل محمد أبو الفضل ابراهيم ، الهيئة العامة للكتاب ،
١٩٧٢ ، ص ١٠٨ - ١١١

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١١

والخطورة تأمان عد هما . ومن هنا أصبح المرأة وسيلة لبيان هذا الجانب
البطولي أو شجيرة له . نجد هذا في العصر الجاهلي عند خنزة كقولها :

يخبرك من عهد الوقعة أنسى نفسي الولى وكفى عند الفتن (١)

وقوله :

اذ يهون بي الأنت لم أحم عنها ولكنها تخافك قدسى (٢)

التي أن يقول .

ولقد شفى نفسي وأسرأ سعيها قبل الفوارس يك عثر أدم (٣)

فلذا علمنا أن هذه الأبيات السابقة وغيرها مما يدل على الشجاعة
موجهة إلى المرأة ، وكأنه يهددها على شجاعتها : اذ يقول لها :

هلا سألت الخيل بالهنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي (٤)

وأتى وصفه الجدى المحدود للمرأة دليلاً على جمالها لا على نظرتيه
المادية لها كقولها :

اذ تشبهك بذي غروب واضح طي طيكتك لذيذ الطعم

وكان قنارة تاجر يفسدها سبقت عارضها اليك من الفم

أو كرونة أنفا تخمن نهتها غممت قليل الدمن ليس معلوم (٥)

أو قوله :

يكرت تدفنى العتوف أنسى أصبحت من غيبي العتوف بمعزل

(١) ديوان خنزة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥

(٢) المجمع ، ص ٢٩ (٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦ ، ١٧

فأجبتها : ان النية نهى
فأفنى حيا لا أبالك وأفنى
لا بد أن أسقى بكفى النهى
أنى امرؤ ساموتان لم اقتل (١)

فأشعر بمنزج الحب بالشجاعة ، ويقول عمرو بن السرد ما زجا حبه زوجته
له بشجاعته :
أرى أم حسان الفداة تطوىنى
تفوقى الاعداء والتقى الخوف
تقول سليمى : لو أقتل سركنا
ولم تدر أنى للقيام أطفوف
لعل الذى حوكتنا من أماننا
بهادفه فى أهله المتخلف (٢)

بل ان امرأ القيس بمنزج عاطفته بالشجاعة أو بحجارة أخرى ربهته فى المرأة
بالشجاعة فيقول : عن زوج المرأة التى كان يزورها :
فأصبحت مشوفا وأصبح بعلمها
فأصبحت الكبرياء خفافه
أفطنى والشرقى ضاجمى
وسنوة روق كانباب الفسوف
وليس يذى ربح فبطمنى بسه
وليس يذى سيف وليس نبال (٣)

وهى محاولة لأفشاء طابع الشجاعة ، فى زيارته لمرأة - يد وأنها من
وسط اجتماعى هابط ، وزوجها لانهاة له ، ولا شجاعة .

ومنزج المرقش الأكبر الشجاعة بالحب أيضا : فيقول :
هلا سالتنا قوارير واسل
فلنحن أسرعها الى أعدائنا

(١) ترجع السبق : ص ٨٨

(٢) ديوانا عمرو بن السرد والدميال ، دار صادر بيروت - د - ص ١٠١

(٣) ديوان امرئ القيس ، انطبعة الراجحة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٢٢ ، ٢٣

ولنحس أكثرها إذا أعد الحمى ولنا فوافلها ومجد لوائها (١)

ومن المزج المرار من ملق بين الحب والشجاعة فيقول :

عَجِبْتُ خَوْلَةً إِذَا تَكَرَّنْتُسِي أَمْ رَأَتْ خَوْلَةً شَمْعًا قَدْ كَثُرَ
وَكِبَاءُ الدَّهْرِ سَيَانًا مَعِيًّا وَتَحَنَّنَ الظُّهْرُ مِنْهُ فَأُطِيرَ
إِنْ تَرَى شَيْئًا فَلَنْتَى مَا جِدُّ ذُو بِلَالٍ حَسَنٍ غَيْرُ غُفْرٍ (٢)

ومن مزج الحب بالشجاعة عهد بنصور بن وقاص الحارثي في عهد نفسه
المنهوية ، وهو في أسره : يقول :

وتضحك مني شحكة عشممة كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَلْبِي أَسْرًا بِهَا نِيَا
وَقَدْ عَلِمْتَ عَرِشِي مُلْكًا أُنْسِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدَاً عَلَيْهِ وَعَادِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمْعَهَا الْقَنَا لِيَقَا بِمَكْرِكِ الْفَتَاةَ بِهَا نِيَا (٣)

ويقول المزد بن صرار ما رجا لهب بالشجاعة أو يصر جدا : يجيشه ثم
بصور شجاعته .

والهوبلامي وهي لك حشها لظالمها ، سؤل حير مبادل
ويضا فيها للمخالم صهوة ولهو من يروا في القلوب غاسل
لها في إذ تصي الحليم يذلها وهي خرميل الرمح فيه غائل
وهي مهابة في ضوار مرادها ربا سر فيها الغيت الهواطل

(١) الفضائل ، ج ١ ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار البعاري
القاهرة ١٩٨٤ ، الطبعة الخامسة ١٩٧٠ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥

(٢) المبدع السابق ، ص ٨٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٠

وأحرم ريان القرون كأنسك أسود رشان التباط الأطنال
وتخطو على برد يتين غذاها نسير المياه والمهون القلائل

ثم يصور شجاعته بعد هذا الوصف للمحبوبة التي كان يلهو بها ، فيقول :
فمن بك معزأل الديين ، مكانه إذا كشرت عن نابها الحرب خايل
فقد علمت فتيان ذبيان أنسني أنا الفايض الحامس الذمار الكايل
وانسني أرد الكبر والكبرش جامس وأرجع رحي وهو رشان ناهيل (١)

ولست أريد أن استقصي في هذا الأمر ، وإنما أردت أن أشير إلى أن الشعراء
حتى في العصر الجاهلي الاعمى منهم وغير الاعمى كانوا يمزجون القصص
بالشجاعة وسوف نرى في العصر الأموي هذا المزج واضحا عند الحضرمين
من الفزاريين ، وعند أصحاب الغزل العذري . يقول جميل :

فلست رجالا فيك قد تذروا دمي وهما يقطي يابسين لقونسي
إذا ما رأوني ظالعا من شهية يقولون من هذا ؟ وقد عرفوني
يقولون لى أهلا وسهلا ومرحبا ولو ظفروا بي خالبا ، قتلوني
وكيف ، ولا تظي دماؤهم دمي ولا مالهم ذو ندهة فهدوني (٢)

ويقول جميل كذلك :

ولست بناس أهلها حين أقبلوا وجالوا علينا بالسيف وطوفوا
وقالوا : جميل مات في الحى عندها وقد جردوا أسياهم ثم وقفوا
وفي البيت ليت الغاب لولا مخافة على نفس جعل والاله لا رفقوا

(١) الطفليات ، ج ١ ، ص ٩٤ ، ٩٥

(٢) شرح ديوان جميل . المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ص ١٠٢

هفت وقد كاد تمرارا عطلعت الى حريمهم نفس ، وفي الكف مرهف
وما سرنى غير الذى كان منهم ومنى وقد جاءوا الى وأرجسوا (١)
ولا يلف الامر عند حد الشجاعة بل يتجاوزها الى الرغبة فى المخاطرة
التي ربما يعمد بها الشاعر ، والتي ربما أراد بها تأكيد شجاعته ، وقد
سبق بهذه المخاطرة امرؤ القيس فى العصر الجاهلى .

ويقول الاخضر وهو شاعر حضري :
فجئت أنسى عليّ هتولي أجفته تجسم المرء هولاً فى الهوى كرم
إذا تخوفت من شيء أقول له قد جف فامض شيء قدّر القلم (٢)

فهو يعلم أنه لن يناله الا ما قدر الله له ، جفت الاقلام وطويت
الصحف ويقول عسرى نهاية زيارة له لمحبهته وقد فوجئ * باشراق
المصباح ، واستعداد قوم المرأة للرحيل . وتعذر الخروج من عند المرأة
عنها :

فما راعنى الا مشاد برحطه وقد لاح مفتوح من المصباح أنقر
فلما رأته من قد تشور منهم وأيقظهم ، قالت : أشركت تأمر
فقلت أباد بهم فإما أقتهم وإما ينال السيف نارا فيسار (٣)

ويتنفس أن تتوقف قلبه عند المعايير الجمالية للمرأة فى الادب الجاهلى
لتنرى هل امتدت الى العصر الاموى ، ومن قبله العصر الاسلامى أم لا ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢

(٢) الاغانى ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩١

(٣) د . احمد مرسى وآخرين : قصائد عربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،
القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧٠ - ٧١

ولنعرف هل هذه الاوصاف المادية كانت دلها على نظرة مادية ،
تخلو من الشاعرية والعاطفة ، أم أن هذه صورة مثالية تخلق على المرأة ،
كما كانت تخلق القيم المثالية على المدوح ، والمرثى وغيرهما . وهناك
قبيحة نموذجية في وصف هذا الجمال وهي للمرار بن منقذ يقول فيها :

رَأَيْتُ مِنْهَا بِيَانًا ناصع	يُوتِقُ الْعَمَلُ مَنْشَأَ مُتَكَبِّر
تَهْلِكُ الْمَدِينَةُ فِي أَفْنَانِيهِ	فَإِذَا مَا أُرْسِلَتْهُ بِنَعْفَر
جَعَدَتْ فِرْعَاؤُ فِي جَجَعَةٍ	فَخَمِيَةٌ تَقْرُقُ عَنْهَا كَالْفُكْرِ
شَادُوخٌ عَرَّتْهَا مِنْ نَسْوَةٍ	كَسَنَ بِخُلُوسِنَ نَسَاءَ النَّارِ
وَلَهَا عَنْهَا خَذُولٌ مَخْرُوفٍ	تَتَلَقَّى الْغَالُ وَأَقْتَنَانُ السَّكْرِ
وَإِذَا نَفَحَكَ أَيْدِي فُجَكِيَا	إِقْوَانَا قَدْنَهُ ذَا أُنْكَر
لَوْ تَطَلَّعَتْ بِهِ شَهْمَةٌ ثَبَّةٌ	صَلَا شَيْبَاءَهُ ثَلَجٌ خَصِير
صَلَحَهُ الْخَذُّ طَيِّلٌ جَدُّهَا	نَاهِدُ الْقُدَى وَلَمَّا يَنْكَمِر
مَثَلُ أَنْبِي الرُّثْمِ يَنْبِي دَرَمَهَا	فِي لَبَّانٍ بَادِينَ غَيْرَ قَلْبِير
قَهْنَى هِبَاءُ هَيْبَتِهِمْ كَتَحْبَهَا	فَقَعَةٌ حَيْثُ يَشُدُّ الْمَوْتُ نَهْد
يَهْطُ الْبَطْلُ مَنْ أَرَدَ أَفَهَا	خَفِرُ أَرْدَى أَنْفَاءَ خَفِير
وَإِذَا عَمَسَ السَّيَّارَتَهَا	لَمْ يَحْدِ تَلُغٌ حَتَّى تَهْبِير
دَقَمَتْ رِلْمَتَهَا رِلْمَتَهَا	وَتَهَادَتْ شَلَّ مَهْلِي الْقُفْعِير
وَهِيَ بَدَأَتْ إِذَا مَا أَهْلَكَتْ	خَمِيَّةُ الْجَسِيمِ رَدَّاحٌ هَبْدَكُمُ
يُخَرَّبُ السَّيْمُونُ فِي خُلُالِهَا	فَإِذَا مَا أَكْرَهْنَهُ يَنْكَسِر
نَاعَتَهَا أَمْ صَدَقَ بَشَرُهُ	وَأَبْهَرَتْ بِهَا غَمَرٌ حَكِير
قَهْنَى خَذْوَاهُ يَحْتَسِبُ نَاعِم	بَتَرَةُ الصَّيْفِ هَيْبَتُهُ الْكَبِير

لَا تَحْسُ الْأَرْضُ إِلَّا دُونَهَا عَنْ بِلَاطِ الْأَرْضِ شَوْبًا مُنْقَعِرًا
عَلَى الْخَرِّ وَلَا عَرَسُهُ وَتَحْلِيلِ الذَّيْلِ مِنْهُ وَحَرُّ
وَتَرَى الرِّهْطَ مَوَادِّعَ لَهَا تُعْرَا تَلْبَسُهَا بَعْدَ شَعْرٍ
نَمَّ تَهْدُّ عَلَى أَمَاطِهَا مِثْلَمَا مَالُ كَثِيبٍ مُنْقَعِرٍ
عَمَّقُ الْمَنْبَرِ وَالسَّيْلِ بِهَا فَهِيَ عِفْرَاءُ كَعْرِجُونِ الْمُعْتَرِ
إِنَّمَا النَّبِيُّمُ عَيْنًا طَقَّالًا سَنَةً تَأْخُذُهَا مِثْلُ الْكُفْرِ
وَالْحُجَّى تَغْلِبُهَا وَقَدْ تَهَا خَرَقُ الْجَوْلَارِ فِي الْيَوْمِ الْخَدَرِ
وَهِيَ لَوْ يُعَمَّرُ مِنْ أَرْدَانِهَا هَمَّقُ الْمَشِكِ لَكَادَتْ تَمُتُّ
أَمْلَحُ الْخَلْقِ إِذَا جَرَّدَتْهَا غَمْرُ سِطَاطِينَ عَلَيْهَا وَمُسُوْرُ
لَحَيَاتِ التَّمْرِ فِي جِلْبَابِهَا قَدْ تَهْدَتْ عَنْ غَمَامٍ مُنْقَعِرٍ
صُورَةُ الشَّمْرِ عَلَى صَوْنِهَا كَلِمَا تَغْرِبُ شَمْسًا وَتَنْذُرُ (١)

والشاعر بعد أن يصف محبوبته بظلك الصفات ، من الجمال الجسدي والرائحة
الطيبة ، والحسن البارع ، والحياة الناعمة ، يتحدث عن أثرها في نفسه ،
وعن حبه العنيف لها ، فيقول :

تَرَكْنِي لِسْكًا بِالْحُسْنَى وَد مَهْمًا لَا قَسَى وَلَهَاءَ قَهْرٍ
يَسْأَلُ النَّاسُ أَحْمَسَنِي دَائِمًا أَمْ بِهِ كَانَ سُلَالٌ مَسِيرٌ
وَهِيَ دَائِي وَشَفَائِي عِنْدَهَا مَنَعْتَهُ فَبُهِوَ مَلُوءٌ عَصِيرٌ
وَهِيَ لَوْ يَقْطَعُهَا بِي إِخْوَتِي أَدْرَكَ الطَّالِبُ مِنْهُمْ وَظَفِيرٌ
مَا أَنَا الدَّهْرُ يَنْأَسِي ذِكْرَهَا مَا غَدَتْ زَوْجَاءُ عَوَسَاقِ خُرْ (٢)

(١) المغنليات ، ج ١ ، صدر ، مائة ، ص ٩٠ - ٩١

(٢) الصدر نفسه ، ص ٩٢ ، ٩٣

وهو ما يدل على أن الأوصاف الجديدة للمرأة لم تكن تعنى في كمال الأحوال النظرة العادية لها . فإذا نحن أخذنا عن بعض الأوصاف الجديدة للمرأة التي تعتبر أداة متعة عند بعض المشرك الجاهليين . مثل وصف النابغة الذبياني للمتجردة زوجة النعمان بن العذر (١) أو وصف طرفية المغنية (٢) . وأن كان في مطلع القصيدة قد وصف امرأة أخرى علمه يهواها بصفاء جميلة جديدة ، ولكنه لم يهبط بها إلى مستوى المتعة الجماعية ، كما فعل وهو يصور المرأة المغنية ، فقال :

وفي الحس أحوى يفضي المرء شادن مظاهر سطى لوطو ونور
خذول تراعى رربا بضميلة تناول أطراف البير وترتدي
وتهم عن ألمى كان مشورا تخلل حر الرمل دعش له
سفته أياه الشمس لا لثامه أسف ، ولم تقدم عليه بأتمه
وجه كان الشمس القتر داعمها عليه نقي اللون لم يتحدد (٣)

، إذا تجاوزنا عن مثل تلك الأوصاف العادية المسقة أو التي تحول المرأة إلى مجرد أداة متعة ، فانتنا نجد أن الوصف الجسدي التالي للمرأة ، لم يكن يحصل طابع النظرة العادية لها . يرى الدكتور عبد القادر القسطن أن تصوير المرأة بالصورة العادية ، وأن يقصر جمالها على تلك الصورة وحدها ليس تابعا من الرواية العادية للمرأة ، وإنما جاء نتيجة للاوضاع الاجتماعية التي تحصل بين الجنسين ، وأن ذلك الغزل كان يهدف القلق الذي كان يحسه الرجل والمرأة كلاهما في ذلك العصر نتيجة التطور الحضاري الذي

(١) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٨٩ - ٩٧

(٢) شرح المعلقات العشر ، النورثي ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، ٣١

لحق بالمجتمع العربي عندئذ (١)، يقول : " ومن هنا كان هذا الوصف
الساكن لظواهر الجمال انعكاساً لأوضاع اجتماعية ، وليس نزعة " جنسية " .
عند عصر غايل النزعة النفسية أو " الروحية " عند العذريين . والحق أنه
لم يكن هناك " غايل " أو " مفارقة " حاسمة بين العذريين ومحبّي
ابن أبي ربيعة ونظرائه ، صحيح أن هناك وجوه خلاف جهرية بين
النزعتين ، ولكن بينهما مع ذلك " عداً خفياً " من جانب النزعة المعريّة
على الأقل (٢) .

ولا مانع من أن يكون للتطور الحضاري أثره على الغزل ، ولكننا نرى
أن الصورة الجديدة للمرأة وشذو العصر الجاهلي لم تكن إشارة مؤكدة
تهدف إلى تصوير الشاعر للمرأة على أنها جسد فحش . وإنما كانت
محاولة من الشاعر لوصفها بصورة جديدة مثالية تبين عواطفه نحوها وتبرز
جمالها ، دون أن يقلل هذا من مكانتها في نفسه ، وإن كانت هناك صورة
مثالية للمرأة كالصورة المثالية التي يلوّح بها الشفيع الملائكي يقول :

لقد أعجبني لا سقوطاً قناعها	إذا ما مشيت ، ولا يندأت ظففيها
تبيت بعيد النوم تُهوي عوقها	لجارتها إذا التهدية قلبيها
تخل بمنجاة من اللوم بينها	إذا ما بيوتها بالدمية خلعت
كان لها في الأرض نسيان عصفه	على أمها ، وإن ظلمك تلميت
أهمة لا يخرى ثأرها جليلها	إذا ذكر النسيان عفت وجليت
إذا هو أمسى أبقره عنيه	مآب السعيد لم يسل أن ظلت

(١) انظر بالتفصيل ، دكتور عبد القادر القط ، في الشعر الإبلاني والاموي ،
دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٧٦ ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) الغزير نفسه ، ص ١٨٥ .

قَدَقْتُ ، وَجَلَّتْ ، وَاسْكُرَتْ وَكَلِمَاتُ فَلَوْ جَنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَمَنِ جَنَّ (١)

ومن هنا وردت الأوصاف الجمدة للمرأة عند العذريين كما وردت عند
الحضريين . يقول جميل مصورا جمال الجسدي لبثينة :

فَنَادَى مِنَ الْمُرَانِ مَا فَوْقَ حَقِيهَا وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقَاً بِهَمِّفُ
لَهَا مَقْلَنَاتُ رِيحٍ ، وَجِيدٌ جَدَاهُفُ وَكَشَعٌ كَلَمَى السَّابِرَةَ أَهْمِيكُ (٢)

ويقول :

غَرَامُ مَهْنَامٍ كَانَ حَدِيثُهَا دُرٌّ خَدٌّ ، نَظْمُهُ مَشْمُورُ
مَحْطُوطَةُ الْمُتَمِيمِ ، مَضْرُوحَا رِيَا الرُّوَادِي ، خَلْقُهَا سَكُورُ
لَا حِينَهَا حُسْنٌ ، وَلَا كَدَّ لَالِهَا دَلُّ ، وَلَا كَوَارِهَا تَقْبِيرُ (٣)

والقاري يلاحظ أن جمال الجسد ، لا ينمها من الوقار

أو قوله :

مَطْلَجَةُ الْأَنْبَابِ لِيُوَانَ رَقِيقَا يَبْدَأُ وَيَسْهُو بِهَ الْهَوِي ، لِقَائِهَا مِنَ الْقَبْرِ (٤)

وقوله يصف جمالها ويعني لقاءها وصفها وصفها جديداً ،

حَلَّتْ بِشَيْخَةٍ مِنْ قَلْبِهِمُ الْمَنْزِلَةَ بِمَنْ الْجَوَانِحِ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا أَحَدُ
صَادَتْ تَفْهُؤُهُ فِي بَطْنِهَا وَتَشْمُ كَأَنَّهُ حِمْلٌ أَيْدٍ تَسْهُو لَنَا حَسْرَدُ
عَذْبٌ كَانَ ذِكْرِي الْمَسْكُ خَالِطُهُ وَالزَّنَجِيلُ وَمَا الْمَرْزُوقُ وَالْقَهْدُ

(١) المغننيات ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٠٩

(٢) مختصر ديوان جميل ، المصدر السابق ، ص ٣٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٥

وجيد أو ماء تحنوه إلى رشا
رجاجة رخصة الاطراف ناعمة
خدل مغلظها وقت موتها
ههنا مقلعة مجزة مدبرة
نعم لحاف القتي المقهر جعلها
كفن لم يتبعها مثله ولد
عناد من يدنها في البيت تخفد
ههنا لم يخذها يؤمولا وكذ
تنت قلبه يري في خلفها أود
شعاره ، حين يثنى القروا الصرد

وقوله :

كلفت بجما الداسح طلبة
من اللب أخذ اذا ما طلبت
شفاء الهوى ، أمثالها منتهى المعنى
قصور الخطى عند الضحى بعلة الشوى
أناة كان الرشق منها مداسة
فلك التي هام الفواد بذكرها
جيب الهنا قريبا لو تصاف
من الليل وهنا أنقلبها الروادى
بهاتفتدى البيض الكرام المعافى
اذا استعجل المشى المجال النعافى
بميد الكرى أو ذاق المسك فائس
ساقها ومعنى بعض الذكور للظباء (١)

وهذه الاوصاف للرداء ، والافخاذ ، والصدر ، والرق ، لامتني كما
قلنا ان المرأة في نظره ليست الا جسدا ، لان المرأة اذا كانت جسدا
يثنى عنها غيرها . ومن هنا قلنا أنها أوصاف مثالية يريد بها الشاعر
أن يتوه بجسمه ، ثم يتبع ذلك بذكر عاطفته نحوها .

ويقول مجنون ليلى مصورا بعض الاوصاف الجديدة لليلى ، وان كان
هذا نادر عنده ، ويأتى على شكل إشارة سريعة كقوله :

استجلى نوح الصبا ثم شاتلى بسرد تنانها أم حسان شاتلى

كَانَ عَلَى أُنْيَابِهَا الْخُمْرُ شَجَّهَا بِمَا سَحَابَ آخِرَ اللَّيْلِ غَابَقُ
وَمَا أَذَقْتَهُ إِلَّا بِعَيْنِي غَرَسًا كَمَا نَسِمْ فِي أَعْلَى السَّابِغِ يَارِقُ (١)

فهو يشبه رقبها بالخمر ، وقد يطيل في بعض ذلك الى حد ما . قوله :
أُنْيَى مَكَانَ الْيَدِ إِنْ أَقَلَّ الْبَدْرُ وقوسى مقام الشمس ما استأخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها وليس لها منك التَّهْمُ والتَّشْمُ
يلى لك نسيم الشمس واليد ركة ولا حطت عينيك شعرا ولا بسدر
لست الفَرْقَةُ إِلَّا وَالْبَدْرُ ظَالِمٌ وليس لها منك الترائيب والتجسيم
ومن أين للشمس المنيرة بالضحى يحكولة العينين في غروبها قمار
وَأَنَّى لَهَا مِنْ دَلٍّ لَيْلِي إِذَا انْتَهتْ يعني مواء الرمل قد مسها الذعر
تسم ليلى عن ثنايا كأنها أفاعٍ بجرباء المراضين أودر
منعمة لو باشر الذر جلد لها لاسر منها في مدارجها السدر
وإذا أقبلت عشى غارب خطوها الى الأقرب الأدنى تسمها البهر
مرضة أُنْيَا التعليل إنهما تخاف على الأرواق يثلمها الخمر (٢)

ولكننا نلاحظ أن أغلب شعر المجنون يخلو من الأوصاف الجديسة
أو يكاد . حتى تصبح تلك الصورة فريدة في : : : ، ولكنها صورة تقليدية
على أية حال .

ولا يخفى أن وصف الرقيق والاشنان ، والفم أوصاف قديمة في الشعر
العربي فضلا عن الأوصاف الجديسة الأخرى . فمن وصف الوجه والاشنان

(١) ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ،
١٩٧٩ ، ص ٢٠٣

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩

والريق وشيب الرائحة قول سديد بن أبي كاهل اليكبرى *

بَطَّنتُ رَابِعَةَ الْجِلِّ لَنَا	فوصلنا الجبل مقبها ما أسمع
حَرَّةٌ تَجْلُو شَيْئًا وَاضِحًا	كشماع الشمس في القريب طمع
مَقْلَتُهُ بِقُضْبٍ نَاضِرٍ	من أراك طيب حتم تصمع
أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ	طيب الريق إذا الريق خدع
تَمْنَحُ الْمَرْأَةَ وَجْهًا وَاضِحًا	مثل قرن الشمس في الصحو ارتفاع
صَافِي اللَّوْنِ وَطَرَفًا سَاجِبًا	أكحل العينين ما فيه قمع
وَقَرُونًا سَابِغًا أَطْرَافَهُمَا	غللتها ربح مسك ذي قمع (١)

والأمثلة كثيرة على الصلة بين الأوصاف الجميدة للمرأة في العصر
الاسلامي والأموي ، وبين تلك الأوصاف في العصر الجاهلي *

بقيت هناك نقطة تفصل بجميل والعذريين فالاستاذ العقاد يرى
أن العلاقة بين جميل ، وبين بشينة كانت علاقة مادية . ويتخذ دليلا على
ذلك بعض أبيات جميل (٢) ، ويقول الاستاذ العقاد : " فظنك جميل
من الأخبار المتفرقة تخفى بنا إلى نتيجة ظاهرة ، وهي أن الهوى يمس
جميل وبشينة لم يكونا خلوا من نزعات الجسد ، ولم يكن خلوا كذلك من
الشك والريبة وشبهة الخيانة من الجانبين . فماذا نقول في ذلك ؟ أنقذ
أنه تافس ؟ نعم هو تافس لاشك فيه ، ولكنه تافس في طبيعة العا
نفسها أو في حالاتها وتعبيراتها ، وليس هو صريح ذلك بمانع حملها

(١) المفاتيح ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١١١

(٢) عباس محمود العقاد ، جميل وبشينة ، دار الشعب ، القاهرة د . ت ،
ص ٤١ - ٥٠ .

لأنها تحصل متناقضة الحالات والتعبيرات ، وكذلك العواطف جميعا لا تلزم
الدقة المنطقية في جميع الاوقات . (١) .

ومن الاشعار التي بنى الاستاذ العقاد عليها - في أغلب الظن -
أن العلاقة بين جميل وشيخة كانت علاقة مادية قوله :

ولو أرمست ، يوحا بشيخة تهتفى يمينى ولو عززت على يمينى
لأعطيتها ما جاء يمينى رسولها قلت لها بعد اليمين سايينى
سايينى مالى ، يا بشيخ ، فأنما يمين عند المال كل شيخين (٢)
أو قوله :

وتقول : يستعدي قد يتك ليلة أنكى البك فان ذاك يمينى (٣)
وغير ذلك من الاشعار التي يوردها في كتابه .

وإذا كانت الاخبار التي يوردها أبو الفرج في كثير لقائات كسور لهما ، وهيت
عندها ، وإن كان في غلاف . فان تلك الاخبار لا شك أنها كان يلقيها
مع ما في تلك الاخبار أحيانا من مهالفة .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠

(٢) شرح ديوان جميل ، صدر سابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠

نصوص من

الغزل العذري

وتراجم الشعراء

من الخزل العسري

جميل بن معمر (ت ٨٥ هـ)

هو جميل بن عبد الله بن معمر : " شاعر فصيح مقدم جامع للشعر
والرواية ، وكان راوية هدية بن خنسم ، وكان هدية شاعرا راوية للحظيئة
وكان الحظيئة شاعرا راويا لزهير وابنه . وقال أبو محلم : آخر من اجتمع
له الشعر والرواية كثير ، وكان راوية جميل ، وجميل راوية هدية ، وهدية
راوية الحظيئة ، والحظيئة راوية زهير (١) .

ويتهم كثير " عزة " بأنه لم يكن عاشقا في حين كان " جميل " =
الهوى . يقول أبو الفرج : " كان لكثير من النسب حظ وافر ، وجميل مقدم
عليه ، وعلى أصحاب النسب في النسب ، وكان كثير راوية جميل ، وكان
جميل صادق الصباية والعشق ولم يكن كثير بعاشق ، ولكنه كان يتحول " (٢) .

" وكان أول ما علق بشيئة أنه أقبل يوما بأبيه حتى أوردتها وأدبها يقال
له يغيث فاغذجج وأرسل إليه بمعدة ، وأهل بشيئة بذنب السوادى ، فأقبلت
بشيئة وجارة لها وأردت من الماء فمرنا على فصال له يروك فعرزمتين بشيئة -
يقول نغزمتين - وهي إذ ذاك حورية صفيرة ، فمبها جميل ، فأفترت عليه
فصلح اليه مبابها ، فقال :

وأول ما نادى المسودة بيتنا سوادى يغيث يا بشين مباب
وقلنا لها قولا فجاءت بمنله لكل كلام يا بشين جواب (٣) .

وقد وصف جميل بالحسن ، كما عرفت بالحسب والنسب ، فقد كان أبوه

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥

(١) الأغانى ، ج ٨ ، ص ٩١

(٣) المرجع نفسه ، ص ٩٨

سيداً ثرياً من سادات قومه ، يحفظه الاستاذ عباس محمود العقاد بأنسه
كان أحق مفسراً ، مما دفعه الى التبرع باسم معشوقته في شعريه ،
وهو يعلم أن هذا يحول بينه وبين الزواج منها ، ورغم تحذيرها إياه
من ذلك (١) . وقد رفض جميل أن يمدح أحداً بشعره حتى الخلفاء . أنا هم
رغم أن بعضهم كان يتلمع في ذلك (٢) اعتزازاً بحسبه ونسبه ، وفخره بذلك
يرقد ما تقول . وقد ظل على علاقة عاطفية بشيئة حتى بعد زواجها
بآخر وان كان هذه العلاقة توصف بأنها كانت غريبة ، وهو ما يدفع الاستاذ
عباس العقاد الى رفض هذه الصفة ، واعتبار العلاقة بينهما لم تزل من
شوائب المنفعة المادية وقد غلبت قوم بشيئة من زيارته لها " فتمت مشيئة
الحى الى أبيه - وكان يلقب صباحاً وكان ذا مال وقد رعى أهله -
فشكوه اليه ، وتشدوه الله والرحم وسألوه كيف ابنه عما يتعريف لـ
ويوضحهم به في فئاتهم ، فودهم كفه ومنعه ما استطاع ، ثم انصرفوا فدعا
به فقال له : يا بني حتى متى أنت عصف في ضاللك ، لا تأتني من أن
تتعلق بذات محل يخلو بها ويتكلمها وأنت عنها بمعزل ، ثم عوم من
نحبه اليك فتترك بخداعها وترتك الصفا والمودة ، وهي مضرة لبعليها
ما تفسره الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلاً وشيئاً ، فإذا انصرفت
عنها عادت الى بعليها على حالتها المذولة ، ان هذا لذل وشيم ما
أعز أخيب سهما ، ولا أضحى نصراً منك . فأنشدك الله ، الا كففت ، وتأملت
أمرك ، فانك تعلم أن ما قلته حق ، ولو كان اليها سبيل لبذلت ما أملكه
فيها ، ولكن هذا أمر قد فات ، واستند به من قدر له ، وفي النساء
عوض ، فقال له جميل : الرأي ما رأيك ، والقول كما قلت ، فهل رأيك

(١) الاستاذ عباس محمود العقاد ، جميل بشيئة ، دار الشعب ، القاهرة د . ٢٠

من ٢٢ وذلك لأنه بعد أن نصحت بشيئة ألا يذكر اسمها في شعره

حتى لا يعرف هواها فلا يتزوجا يعلن عشقهما إياها لتصبحها : فيقول :

لا ، لا أبوح بحب بشيئة أنها أخذت على موافقها ونهوها

(٢) عباس العقاد ، جميل بشيئة ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١

قلبي أحدا أقدر أن يدفع قلبه هواء ، أو ملك أن يلقى نفسه ، واستطاع
أن يدفع ما قضى عليه ، والله لو قدرت أن أنحو ذكرها من قلبي أو أنزل
شخصها من عيني ل فعلت ، لكن لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هو بسلامة
بليته حين قد أتيج لي ، وأنا امتنع من طريق هذا الحى ، والالمام
بهم ، ولو كنت كمدا ، وهذا جهدى ، وبلغ ما أقدر عليه ، وقام وهو
يكنى ، فيكى أبوه ومن حضر جزعا لما رأوا منه (١) .

وهذا النص يبين - صدق ما يقال من أن علاقة ما كانت تربط بين
جميل وبثينة حتى بعد زواجهما ، وأنه كان يزورها ، بعد هذا الزواج .

وقد أهدر السلطان دمه أن هو ذهب إلى ديار قوم بثينة ، فثأقت
الدنيا به فكان يعد مكانا مرقعا يتسم الريح من نحو حى بثينة
ويقول :

أيما ريح الشمال أما ترينى أهيم وأنى ينادى التحول
هسى لى نعمة من ريح بثن ومنى بالهوى على جميل
وقولى يا بثينة حسب نفسى قلبك أو أقل من القلبيل
فلما بدا الصبح انصرف (٢)

جميل بن معمر فى الغزل

هذا نموذج للغزل العذرى الذى يصور ما جد على الغزل العربى
فى صدر الاسلام من قيم جديدة تنمو بالعاطفة ، وتعتمد بها عن كسل
ما هو مبادئ بين الرجل والمرأة .

(١) الاغانى ، ج ٨ ، ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩

القصيدة

- ١ - آمين منزل ففر تنفت رسومه شمال تغاديتهم ، وتكبا حرجف
- ٢ - فأصبح فقرا ، بعد ما كان أهلا وجعل المعنى تشويه ، وتصيف
- ٣ - ظلمت ، وستن من الدمع هامل من العين ، لما عجب بالدار ، يتزف
- ٤ - أنصفني جميل ، فتعدل بيننا اذا حكمت ، والحاكم العدل ينصف
- ٥ - تعلقها ، والجسم مني مصحح فصا زال ينمو حب جميل وأضعف
- ٦ - الى اليوم ، حتى مل جسي وشفتي وأنكرت من نفسي الذي كنت أعرف
- ٧ - قناة من المران ما فوق حقوها وما تحته منها نفا يتقصف
- ٨ - لها قلنا ريم ، وجد جدابة وكشح كلبي السابرة أهيف
- ٩ - ولست بناس أهلها حين أقبلوا وجالوا علينا بالسيف وطوقوا
- ١٠ - وفي البيت لبث الغاب لولا مخافة على نفس جميل ، والآله ، لا يغفوا
- ١١ - هممت ، وقد كادت مرارا تطالعت التي حبيبهم نفسي ، وفي الكد مرهف
- ١٢ - وما سرتني غير الذي كان منهم ومنى ، وقد جاؤا الى وأوجفوا
- ١٣ - فكم مرنج أمرا أتبع له الردي ومن خائف لم ينقصه التخوف
- ١٤ - أن هفت ورقا ظلت ، سفاهة تبكى ، على جميل ، لورقا تهف ؟
- ١٥ - فلو كان لي بالمرم ، ياساح ، طاقه صرمت ، ولكنني على الصرم أضعف
- ١٦ - لها في سواد القلب بالحب متعة هي الموت ، أو كادت على الموت تشرف
- ١٧ - وما ذكرتك النفس ، يا بش ، مسرة من الدهر ، الا كادت النفس تلطف
- ١٨ - والا اعترفتي زفرة ، واستكانة وجاد لها سجل من الدمع يمدد
- ١٩ - وما استغرقت نفسي حديثا لخلعة أسريه ، الا حديثك أطهر

- ٢٠- وبين الحفا والموتين ذكرتكهم بمخطف ، والناس سماع وبوجيف
٢١- وعند طوافي قد ذكرت مسرة هي الموت ، بل كادت على الموت تنعف

الشرح :

- (٢٠ ١) تعقت الرسوم : انتلمست ولم يظهر معالمها . تخاديه : تهاكره
والبكرة : الغدوة . الرسوم : آثار الديار الباقية بعد رحيل أهلها
عنها والنكبا : ربح انحرفت وقعت بين ربحين .
أهلا : مكان أهل ، أى له أهل أو مكان مسكون ، وكان مأهول ، قيد
أهله . الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
بصور جميل وقوفه على أطلال ديار حبيته ، وقد اندثرت معالمها لأن
ريح الشمال والرياح الأخرى الباردة العاصفة ، تحمل كل ما من شأنه
اخفاء آثار تلك الدار . وقد أصبح هذا المنزل قفرا بعد ما كان عامرا
بمن كانوا يقيمونه ، إذ كانت بثينة وقومها يسكنون به ، وهو يذكر
هنا اسم جميل ، ولكنه يريد بثينة ، وفي هذا محاولة منه لاختفاء
اسمها ، وإن عاد فذكر اسمها صريحا فى بيت آخر . أو بعسارة
أخرى كانت جميل تحضى به الشنا والصيف ، أى عجم به إقامة دائمة
(٢) المستن من الدمع : الغزير العجيب
هامل : يفشى بالدمع . غلبت منه هملانا فاضت . عجت : رجعت .
وقفت فى الدار التى كانت تسكنها حبيبتي ، وقد سال دمع العيس
منى غزيرا ، إذ شارت ذكرى ناسى فلم أعكن من السطيرة على مشاعري .
(٤) أنصف فلانا : أرجع إليه حقه ، والانصاف : العدل
الحاكم : من يحكم فى أمر ما ، والحاكم العدل : أى النصف العادل
ينصف : يحكم بالعدل .

هل ستمغنى جمل ، فتمغنى مودتها ، لانها انما يبذلها كاستغاضة
عليه والحاكم العادل يتصف اذا حكم بين الناس ، فانه يقول لها
لا تطعنى مثلها لى ، وكونى عادلة فى معاملتى .

(٥) تعلقتها : أى عرضتلى فبهيتها ، وعلق فلان امرأة : أحبها .
 ينزق : يسيل دمه حتى يقرط . مصحح : الصع والصحة والمصاحح :
 ذهب المريض ، والمبرء من كل عيب .
 أحببتها وأنا صحيح الجسم والعقل لا مريض بسى .

(٦) سل جسي : هزل ، وأمله من السل وهو ثرجة تصيب الرئـة .
ثقنى : ثقف جسمه ثقوفا : ثحل ، وثقه الهم : هزله .
وانكسرت : جهلت

ما زلت أحبها حتى اليوم حتى أميت بالهزال والعمرى ، وأصبحت
أجد في نفسي أمورا أجلبها ، بعد ما كنت أعرف عن نفسي كل شيء .

(٧) المران : شجرباسق ، وراح الفنا ، حقها : كئسها .
قصه بضمه : كسره

يصف رشاقتها وبين جسمها بالروح المأخوذ من شجر المران ، أولعله يقصد طولها أيضا ، وصف أعلى جسمها بالمران رشاقة ، وصف ما تحته - وهو رديا - ينقى الرمل ، وهو التل الصغير من الرمل .

(٨) جيد : عبق ، جدابة : غزال ، والماهية : السابري الشوب الرقيق
الحميد . وأعيف : الهيف ضمير البطن رقة الذاصرة .

يشبه الشاعر عيني محبوبته بمعين الرثم جمالا ، والرثم هو الظبي الخالص
البياني . وشبه عتقها في جماله عتق الفرسال . وفصّلها خامر : أهيف
كانه صوب . صارت ما رقت : راقا . راقى فذا طبع : كان غشلا .

(٩) جالوا : طافوا ، وطوفوا : داروا حول المكان أو حول الشيء .

ولمست يشار قومها : لمن أنسى ذلك .

ولمن أنسى قومها حين طافوا بنا وجالوا محاولين قتلنا .

(١٠) اللبث : الاسد

أرغفه : أعجله ، والرغاف الدم : وربما يكون قصد بالارغاف قتلهم

واسالة دمه .

يعتبر نفسه بأنه في شجاعة لبث الغاب ، ويمتطيع مواجهمهم بسيفه

ولولا خوفه على جمل (بئينة) لجعلهم يلبثون بالقرار ، أو

بالهرب وماؤهم تنزف .

(١١) همت : نهت أن أفعل . تطلعت : استشرقت

همت بحرهم ، وأوشكت نفسي أن تقوم بحرهم ، وفي يدي سيف

مرهف فاطع .

(١٢) وما سرتني إلا ما حدث منهم من مجي ، اقتلى ، ومن استعدادي لقتالهم

وقد جاءوا إلي سرعين .

(١٣) مرشح : من الرجاء وهو الأمل . أتبع له : قدر له الردى

ينقصه : ينقص منه شيئا

فكم رجل أو إنسان يأمل خيرا من سعيه ، ولكن يقدر الله له الموت

فلا يحقق ما كان يرجوه ويأمله . وكم من إنسان من الموت أقدم فاسم

بهمه بغير اقدامه هذا .

(١٤) ورقا : حمامة

سقاغة : نفس العقل ، بكى : بكاء : هيجد للبكاء .

توتف : هظت : صانت . وكاه : بكى عليه ورشاه .

أذا صاححت حمامة أو غصت بالست تكي شوقا إلى جمل ، لمجرد أن الحمامة تصبح ؟ والا غصها بالمتعجب .

(١٥) المرم : الفطيرة • طاقة : قدرة • يا صاح : يا صاحبي
لو كان بإمكانى أن أقطع ملهى بجمل هذه لقطعنها ولكنى لا طاقة
لنى بذلك ولا قدرة لنى عليه .

(١٦) سواد القلب : والسواد من القلب : حشمه ، وكذلك سداؤه .
تشرف : تشكك
منعة : منع صار منعاً ، لها فى القلب ما يمنعها من الخروج منكم
كأنها فى حصن منيع .
الحب يعطيها مناعة فى القلب فهى فى القلب فى مكان منيع لا يمكن
إخراجها منه . وهذه المنعة تعمل فى قوتها إلى حد قوة المسوت
أو تشرف بى عليهم .

(١٧) إذا ذكرتك التفرياً بثينة مرة من الزمن الاكاد أن النفس تهلك .

(١٨) الزفرة : أخرج نفسه بعد مدة إياه .
استكانة : استكان : خضع وذل
سجل : الدلو • • يذرف : يميل
والأما يثنى زفرة ، وخضوع ، وسالت دموعى بحسرة مبالغ فيها .

(١٩) استلرف : وجد الشئ تارفا : أى غريبا • الخلة : الصديفة
وما وجد ... حد يشأ فى طرافة حد يشأ ، فحد يشأ أطرف من أحاديث
غيرها من النسا .

(٢٠) عطف : كان يذهب التارفيه ويحشون يخطف بعضهم بعضاً به .
ساع : قصد ، وعمل ، ومشى
موجف : مسرع

وقد ذكرت يا بئسنة بئسنا ازدحم بالناس ، ويخلف فيه بعضهم بعضنا
والناس هذا يسير على مهل والآخر مسرع .

(٢١) وعند خلوا في حول الكعبة ذكرت مرة ، فكان الامر الذي أحدثته
تدبير على النفس ما لها ايلاام الموت ، بل كادت تصبح ضعف
الموت .

جميل بن معمر (في الغزل)

وهذه مقطوعة أخرى يعرّف فيها جميل لعلاقته ببئسنة ، وكيف أنها
جماشة يهواها في يوم الحجون ، وكيف أنها لا تفي بوعده وتبدل اليه
دائما ، وتهجره طاعة للموازل ، بينما هو لا يطيع عواذله ، ويمر موقفه
منهم ، ويصور تهميه على البقاء على حبها ، فهو غزل عذري لا يعمى
التي غاية بعد .

القطعة ٢٠

- ١ - ... ساد ثغورادي يا بئسنة حيا لكم يوم الحجون وأخطأتك حيا على
- ٢ - ... نهجي ، فليت ما تبتني وبعثت عاجل ما وعدت كأجمل
- ٣ - ... وثاقك لما رأيتك في بيها أحسن التي إذاك مع مثاقيل
- ٤ - ... وأنت في عوازل فخرجتني وبعثت فيك جهدن عواذلي
- ٥ - ... حاولتني لايت جميل وما لكم مني ، ولست وان جهدن - بفاعل
- ٦ - ... فردت مني ، وقد سعين بهجركم لما سعين له يأنق ناصل
- ٧ - ... بعثت من غيظ على أنا مولا يودت لو بعض من صم جناح
- ٨ - ... وغلنك يا بئسنة بخيلك نفسي قد أوك من ضنين بأخيل

الشرح :

(١) حبال : مقصود حباله الصياد . الحبال : جفع حباله : المعصدة
لقد صاد جبالك فصادى فوقعت فى هواك فى يوم الحجون ، والحجون
بكفة . فى حين عجزت عن صيدك ، أو التأخر على قلبك لقد أخطأتك
حبالى . أى نجحت فى صيدى وفلتت أنا .

(٢) لنواه : مثله ، وسواء يدينه مثله ولم يوم . ما عليه له من دين .
الاجل : المتأخر . نحو : جل وضده العاجل .
متين بالوصال ، ولكنك طلبت فلم تملينى ، وجعلت ما وعدت به
من الوصال العاجل كالوصال الاجل .

(٣) وثاقلت : ثاقل عنه : ثقل وثياطاً
كفى بها : ولمى بها وحسى الشديده لها ، والكلف : الرجل العاشق
وكلف به أولع : والمثاقل : المتاعى .
وثياطاً وثكاً ، لعل رأيت شدة حسى لها ، فما أحبها الى من
متأقلاً أن تأسفها لا يقلل من حسى لها .

(٤) العواذل : جمل بذلة ، وهى من تقوم على الحب أو غيره
والعاذلة : اللائمة . جهدن : بذلن الجهد والطاقة فى ذلك ،
أو اجتهدن .
لقد ألهت من لفتك فى حسى ، وحرشتك على قطيعتى ، فى حين
عصيت عواذلى رغم ما بذلن من جهد فى اقناعى بذلك . لاحظ الطباق
بين : أعطت : وعصيت .

(٥) ألهت : ألهت
بذلن محاولات كثيرة لاقطع حبل الوصال بينى وبينكم ، ولكنى مهمما
اجتهدوا فلم أعمل ما يريدون .

(٦) الهجر : هجره هجرا وهجرنا : صرمة ، وهجر الشيء : تركه
أفوق : ناضل : الفوق موضع الوثمن السهم ، وناضل يعنى له تصل
وقصد معين للقضاء على ما بيننا بهم معد لذلك .
وتصل السهم : جهل فيه تصلا
رددت أولئك العذال - لما معين لكى أنتجرك - محاولا تقتل ما بيننا
بهم معد للانطلاق ، وه تصل قاتل .

(٧) الانامل : الاصابع
ردد تهن مغيظا أو رددتهم - العذال - مغيظين ، لقد رجع
اللائعات مغيظا واشدة غيظهم بعضن أصابعهن ولقد وددت ان
بعضن حجارة صماء ليكون ذلك أكثر إيلاسا لهن .
(٨) وقلن - يقصد العاذلات - انك بخيلة لا عمليتنى أفديك بنفسى
يا بشين أيتها البخيلة .

مجنون ليلسى

اختلف في مجنون ليلسى هل هو شخصية حقيقية ، أم أسطورة لا وجود لها . وأبو الفرج يذكر روايات تثبت وجوده ، ويذكر روايات أخرى تنفى هذا الوجود .

فهو يقول : * وأخبرنى حبيب بن نصر المهلبى واحد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن * - الخراسي قال : حدثني أيوب بن عتبة قال : سألت مالت بنى عامر بطننا بطننا عن مجنون بنى عامر فما وجدنا أحسدا يعرف (١) .

فإذا كان بنو عامر جميعا لا يعرفون المجنون ، ولا يسمعون له ذكرا فإذن هو ليس شخصا حقيقيا . ولكنه يعود خبرا آخر عن الأصمعى يقول : * ... الأصمعى يقول : وقد سئل عنه - : لم يكن مجنونا ، ولكن كانت له امرأة ، كلب بنى حبة النمرى * (٢) ثم ينقل خبرا آخر عن الأصمعى يقول فيه : * ... رجلان ما عرفنا فى الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بنى عامر ، وليس القرية ، وأنا وضعتهما الرواة * (٣) .

فهذان الخبران أحدهما يثبت وجود المجنون غير أن به لوثنة ، والثانى يرى أنه لم يكن بوجوده إنما وضع اسمه الرواة .

كما يروى أبو الفرج رواية رابعة يقول صاحبها : * سمعت على بنى عامر قرأيت المجنون ، وأنتدبته وأنتدبته * (٤) وهكذا نجد الرواية الأخيرة هذه تثبت أن المجد * * * حقيقيا .

(١) ، (٢) الاغانى ، ج ٢ ، دار الشعب ، تحقيق ابراهيم اليازجى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٢٠ .

(٣) ، (٤) المرجع نفسه ، ص ٤٢١ .

وبعد أن يعود أبو الفرج جملة من أخبار الشاعر يناقش بعضها بعضها
وقدم بين يديها قول الجاحظ : " وقال الجاحظ ما ترك الناس شعرا
مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسيوه إلى المجنون ، ولا شعرا هذه
سبيله قيل في ليلى إلا نسيوه لقيس بن ذريح " (١) يتخلل من مثولته
عن صحة ما يرويه من شعر على أساس أنه ربما لا يكون صحيح التسمية
اليه فيقول : " وأنا أذكر ما وقع إلى من أخباره جملا مستحسنة متروكة
من العبد في يديها ، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعد
الرواية إلى غيره ، وينسبها من حكيت عنه اليه ، وإذا قدمت هذه التريفة
برئت من عيب طاعن ، ومتبع للمعصوم " (٢)

ولكنه يعود إلى ذكر هواه وتعلقه بليلى وتقل تلك الرواية عمن
رواها ثمة هما أبو عمرو والقياسي وأبو عبيدة ، فهي تكنى أم مالك ، وتدعى
ليلى بنت مهيدي ، وقد بدأ هواهما وهما صبيين ، برعيان مواشى أهلها
حتى كبرا فحببت عنه ، ومشيهد بهيتين للمجنون هما :
تعلقت ليلي وهي ذات دواء أبسة ولم يبد للأتراب من عديها حجم
صغيرين ترعى البهائم باليت أنشبا إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهائم (٣)

وقال أنه لما اشتهر أمر عشقه أياها ، وتناشدت الناس أشعاره فيها
رفقت أن تزوجه ، وفعلت عليه غيره يقول صاحب الأغاني : " لما شهر
اسم المجنون وليلى ، وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها ، وسدل لها
حمير ناقة حمراء وخطبتها ورد بين فم الفملى وسدل لها عشرة من الأهل

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٢٦

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٢٩

(٣) انظر نفسه ، ص ٤٢٤

وامهيا ، فقال أهلها ، نحن مخيروها بينكما ، فمن اختارت تزوجته ودخلوا اليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وردا لنظن بك . فقال المجنون :

ألا يائيل إن ملكت غينا
خيارك فانتظري لمن الخيار
ولا تصد لي مني دنيًا
ولا يرما إذا حب القنار
يسرول في الصغير إذا رآه
وتعجزه ملبسات كمار
فقل تأييم منه تكاح
ومثل عول منه افكار

فاختارت وردا فتزوجته على كره منها . (١)

وهكذا يميز لنا السبب الذي من أجله لم يتزوج قيس من ليلى ، وهو قوله فيها الشعر الذي تناقلته الرواة والناس . ويظهر لنا أنها أكرهت على الزواج بقسره - أى أن رفضها إياه لم يك محض اختيار منها .

وقصة الوساطة التي أراد قيس أن يقوم بها عبد الرحمن بن عوف عامل الصدقات يوردها الأغانى ، ولكنه يرى أن الرجل أبى أن يقوم بها ، وأعطى بدلًا منها لقيس بعض " القلائش " فرفض . لأنه كان يريد وساطته في الزواج بليلى بعد أن أهدر الماطيان دمه ولا يريد الجال (٢) .

وقد أميد بالجنون - كما يقول أبو الفرج - بعد تلك الحادثة ، وأنه كان يرى منفردا في جنبات الحى غاريا إلا من خرقة ، وأنه كان يهدى ، ويخلط في الأرض ، يلعب بالتراب والحجارة ولا يجيب أحدا عما يسأله ، فإذا ذكر اسم ليلى شاب إلى رنده ، وأصبح صحبها يتحدث

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

ويتشد أتعاره (١).

وقد كان المجنون ابن سيد الحي ، وقد رآه نوفل بن ساحق فافتسم لحاله وسام ما يرى من غيبه وجنونه وسوء حاله فذهب يطلب ايلي له ويتخفى أن تشير هنا الى أن اسم ايلي كان كفيلا باعادته الى الوضع الذي يكون عليه الاحياء والعقلاء . وقد حدث هذا في محاسب الرجل ، ولكنهم رفضوا توجهه وخاصة وأن السلطان كان قد أصدره (٢)

ويقال : " ان أيا المجنون وأمه رجال من عشيرته اجتمعوا الى ايلي ليلي فوظفوه ، وثأثدوه الله والرحم ، وقالوا له : ان هذا الرجل لهالك وقيل ذلك ففى أقبح من الهلاك بذهاب عقله وانك فاجع به أبناء وأهله فتشدك الله والرحم أن تجعل ذلك ، فوالله ما هى أنسرف منه ، ولا لك مثل مال أبيه ، وقد حكمت فى المهر ، وان شئت أن يخلع نفسه اليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وطلاق أمها انه لا يزوجه اياها أبدا وقال : أغفج نفسى وعشيرتى ، وآتى ما لم يأت أحد من العرب ، واسم ابنتى يمتسم ففججه ، فأنسرفوا عنه ، وغالغهم لوقتته فزوجها رجلا من قومها وأدخلها اليه ، فما أمسى الا وقد بنى بها ، ولغى الخبر أليس منها حينئذ يزال عقله جملة . (٣)

وموت المجنون بعد حياة غريبة ، وكانت رداءه الانانى أن يجعل موته فى حضور أبى المرأة التى رفض أن يزوجه اياها يقول : " لما مات مجنون بنى عامر ورجل فى أربز حاشة بين حارة سيود ، فحضر أهلهم

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ، باب رقد .

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٢٦ .

وحضر (معهم) أبو ليلى - المرأة التى كان يهاجها - وهو متقدم من
أهله ، فلما رأه ميتا بكى واسترجع وعلم أنه قد شرب فى هلاكه . فهينما
هم يلقونه اذ وجدوا خرقه فيها مكتوب :

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى شقيتولا هتيت من عيشك الفنى
شقيت كما أنفيتنى وتركتنى أهيم مع الهلاك لا أطعم الفضا (١)

وأبو الفرج بعد اذ يحتاط - به يجمع كل الروايات التى تصل الى
يده عنه ، يركز أساسا على أن الشاعر الذى يتغزل فى امرأة لا يتزوجها
وأنها عادة العرب ، ومن يخالفها يصيبه العار ، وطع سوء المسكرة
وقد أنكر ذلك الدكتور طه حسين وأستاذنا الدكتور شوقي شيف ، وأيدها
الدكتور عبد القادر القط ، على أساس أن الشعر يشهد بذلك .

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٠

أولاً: تصور الفزل المعذري

التهاد - لمجنون بنى عامر

مختلف، في نمبه ، اختلافا يصل الى انكار وجوده قطبة ، كما اختلف في جنونه فقيل : * لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوشة كالوشة أبيس حية النمرى .^(١) وعلى أية حال تنسب اليه أشعار جيدة ، على مستوى عال من الشاعرية والحرارة والصدق ، كقوله التالي :

- ١ - وأحسب منك النفس والنفس مئة شراك والمعشى إليك قرريب
- ٢ - مذاقة أن تعشى الوشاء بظنك وأحرسكم أن يستريب ريب
- ٣ - فقد جعلت نفسي - وأنت اجترمتك - كنت أعز النارب علك تعاليب
- ٤ - فلو شئت لم ألقك عليك واسم يزل لك الدهر متى ما حيسب تعاليب
- ٥ - أما والذي يلو السراصر كلها - في اسم ما تبدي به ويغيب
- ٦ - لقد كنت من محظي النفس ظم لها دون خلان الصفا حجوب^(٢)

الشرح :

- ١ - أحسب : الحسب : النجس
مئة : الصباية : الشيق أوقته ، أوقية الهوى ، وهي صبة : وهي مشاققة . . المعشى : الطريق اليك قريب .
- ٢ - المذاقة : التهمة والثمين : المتهم
يستريب : استراب به : رأى منه ما يره . (أى يخلص به القانون ويشك فيه وتهمته) .

(١) الأتاني : ج ١ ، صدر سابق ، ص ٤٢٠ ، وانظر تفاصيل الحديث عنه المرجع نفسه ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٢) المصدر نفسه .

٣ - اجترم : أذنب فهو مجرم .

٤ - المرائر : السريسة : ما يكتنم وهي السر .

٦ - خلة : الخلية . والمدافاة المختصة لأخلل فيها تكون قى غلاف وفى
دمارة . والخلة : أيضا : المدبق . للذكر والانثى والواحد والجمع .
حبيب :
والخلة : القسر .

ومن أشعار المجنسون

قوله :

- ١ - شكوتُ السى سرب القضا إذ مررت بهى فقلت ومثلنى بالبكاء جد يسر
- ٢ - أسرب القضا هل من معسر جناحه لعلنى الى من قد هويت أطهر
- ٣ - فجاوبتنى من فوق غصن أراكسه ألا كلفنا يا مستعير مغير
- ٤ - وأبى قطاة لم تعرك جناحها فعاشت بهسر والجناح كمير
- ٥ - ولا فمن هذا يسودى رسالة فأشكره إن المحب شكير
- ٦ - إلى الله أنكوصوتنى بعد كيمتى وتيران شوقى ما بهين فشير
- ٧ - فاني لقاسى القلب ان كنت صابرا غداة غدى فممن بهسر تميمير
- ٨ - فيان لم أمست غمتا وكربتة يعاودنى بعد الزفير زفير
- ٩ - إذا جلسوا فى مجلس نذروا دى فكيف تراها عند ذاك تحير
- ١٠ - ويدون دى هز الرماح كأنها توقد جمر ناقب وسعير (١)

(١) ديوان جنون ليلى ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة
القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٢٧

الشعر :

- ٦ - صوته : صيا اليها : حسن • وأمشته المرأة وعصيته : شاقته ودعته
الى الصيا فحسن اليها • وعصاها وعصاها : خدعها وفتنها •
كريتي : شدتي • • فتور : ضعف
٩ - نذروا دضى : أوجعوا قلوبى
يجير : أجاره وأنقذه وأعاده •
١٠ - الجمر الناقب : الجمر المتقد
بمعير : النار ولهبهها

وقوله :

عندما أطلق ظبية من الشرك بعد أن تأمل محاسنها

- ١ - أيا شيه ليلى لا تراعى فإنتى ليلك اليوم من بين الوجوه ديق
٢ - يا شيه ليلى أقصر الخطو إنتى بقربك إن ساغتنى لظليق
٢ - يا شيه ليلى ردّ قلبى فإنتى له خلقان دائم و.....
٤ - يا شيه ليلى أذكرت من ليس ناسيا وأشعلت نيرانا ليس حريق
٥ - يا شيه ليلى لو تكنت ساعة لعل فؤادى من جواه يغيق
٦ - يا شيه ليلى لسن تزال برؤيتى عليك محاب دائم و.....
٧ - فلأنا - إذا شيهتها لم لم توب سليما - عليها فى الحياة شغيق
٨ - عقت فادى فكر ليلى بنعسة فأنسرت لليلى إن شكرت ظليق
٩ - فعينك عيناها رجيدك جدها سوى أن عظم الساق منك ديق
١٠ - وكاد تهللاد الله يا أم مالك بعار رخصتكم على تخليق

- ١١ - يذكركمى للوصل أياها الأولى مدين علينا والزمان ويرى
١٢ - أرد سوا الطريق عنك ومالك على أحد إلا عليك طريق
١٣ - عسى أن حججنا أن نرى أم مالك ويجفنا بالثقلين مضيق
١٤ - تشوق إليك النفس ثم أرد ها حيا ومثلى بالحيا حقيق
١٥ - ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني ورت الهدايا المشعرات صديق
١٦ - سلى هل قلانى من عشير صحتة وهل ذم رجلي فى الرفاق رقيق (١)

الشرح :

- ١ - تراعى : عزمى
٢ - ساعفتنى : ساعدتني أو واتاه فى مصافاة وقد تكون ساعفة بمعنى دانه
٣ - يروق : قد تكون من الفزع والحيرة
٤ - أذكرت : أى ذكرت أى جعلته يذكرك
٥ - طيبك : أعتك أو توقف
جواه : الجوى : شدة الوجد ، والحزن ، والحرق ، وتناول العرش
وهو باطن .
٧ - ثوب : آف : رجح
١١ - الزمان ويرى : أى مخصب ذو سعة
١٤ - مثلى بالحيا حقيق : أى جدير
١٦ - قلانى : أيقنتنى
عشير : القريب والصديق والمعاشر . وعشيرة البرجل : بنو أيمسه
الادنون أو قبيلته .

(١) مجنون ليلى (الديوان) ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧

وقوله :

- ١ - ألا يا غراباً صاح من نحو أرضها . أبسق لا أنقت الدهر من صبحان
- ٢ - ولا كان من ريب الحوادث أنسل . جناحك إن أزعجت للطيران
- ٣ - ألا يا غراب العين قد طردك بالذي أجادره من واقع الحدثان
- ٤ - ألا يا غراب العين لو حظه فاحسب موتك مشوب كل مكان
- ٥ - فسقلاً زلتك مذمور الفؤاد أرواحاً . وإذا رمت نهضاً وأهلى الطيران
- ٦ - وبه عازي قتي اليوم في غير هنيهة . أقلاً ملاهى لا تحين أنكران
- ٧ - فلا يمدّ لحيين إن شئت المسوى . بليلى السنى من واكف الهمان
- ٨ - ألا يا غراباً للهن مالك هدة . بالتعب والحجلان
- ٩ - أما لك ناء - لا عرت غليعه . ولا للذوى عندى فتتهيران (١)

الشرح :

- ١ - أريب الحوادث : معروفها ومضائها .
- ٢ - أزعجت : عسجت أو عصى على الأمر ، وأزعجت الأمر أو أزعجت على الأمر ، أجمعت أو شجعت عليه .
- ٣ - الحدثان : حدثان الأمر أوله وأبداؤه كحدثه . وحدثان الدهر : نومه وأحداشه أى مضائه .
- ٤ - فاحسب موتك مشوب كل مكان : أحيى الموتى .
- ٥ - أرواحاً : أرواح الموتى . أحيى الموتى .
- ٦ - السنى : السوء . الفزع : الفزع .

- ٦ - الكنه : جوهر الشيء وقابله وقدره ، وجهه
لا تحسن أو ان : وليس الحين حين أو وقت معلوم
 - ٧ - شطط النوى : انتهى : الوجه الذى به شياطينه " ريبضه " والحوول
من يكبان الى آخره - وشطط : تشط وشطط : بعد ، يقيد اذا بعد
عنه حبيبه .
 - الهملان : عملت عينة تعمل عملا ومعالاة . فاضت : بالدمع .
 - ٩ - نناه : نهاء ينهاء نهيها : ضد أمره .
-

نصوص
الغزل الحضري
وتراجم الشعراء

عمر بن أبي ربيعة

شاعر قرشي ، ولد في سنة ٥٢٢ هـ ، ونشأه بالدينية ، ولكنه وصل إلى مكة يخاص بها إلى أن مات (١) . تخصص في الغزل ، ولم يترك غير من فنون الشعر الأخرى ، وكان واسع الشرا ، وليس له حاجة إلى التكسب بشعره ، فصرف طاقته الشعرية الكبيرة نحو المرأة ، يصور جمالها وأنوثتها ودلالها ، ويظهرها عذرا جميلا ، وسيطا في آن واحد وقد تأثر في بعض شعره بامرئ القيس ، الذي كان يفاخر بأنه يدخل على النساء خدوهن للظفر بهن مع علمه بخطورة ما هو مقدم عليه ولكن صر - لم يكتف بالتأثر فقط - بل توسع في سرد قصص الحب ، متوسعا في القصة التي يوردها في قصائده التي تصور زيارته للمحبوبة ظلما فعمل في قصيدته " نعم " التي سندرستها .

ويرى بروكلمان أن غزل عمر في أكثره صادر عن تجارب حقيقية ، وإن كان القصص قد أخذت إلى القصص التي يحسب ذلك (٢) . وقد نكس بروكلمان إلى موسيقى شعر عمر ، ومخالفة أوزانه لأوزان غيره من السابقين ، يقول : " * * * ولم توافق نحو الشعر الكاملة عند شعراء الهادية طابعه فنه ، كما وافقته البحر الخفيفة الكثيرة الحركة ، مثل النقيض والرميل . فهذه تعبير لقائيه ذلك النغم الإيقاعي القبول الذي جعلها تذبذب وشيكا على أجنحة الغنى " في جميع أنحاء العالم العربي . (٣) .

(١) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ص ١٢٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٩ ، ١٩٠

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩١

وقد ذهب استاذنا الدكتور شوقي ضيف الى رأى تريبس من ذلك
الرأى ، فيقول : * وهو قى غزله يخضع ملكانه لفن الغناء الذى
عاصره ، اذ يستخدم الاوزان الخفيفة والمجزوءة ، حتى يحطمها المغنون
والمغنيات بما يرسدون من ألحان وإيقاعات ، كما يستخدم لغة سهلة
فيها عذوبة وحلاوة ، حتى تحس لهم روعة النغم * (١)

وخالف الدكتور عبد القادر القط رأيه الدكتور شوقي ضيف ، فيما
يذهب اليه من أن الغناء أثر على شعر عصره ، كما لا يقبل القول
الذى ذهب اليه استاذنا من أن أغلب شعر عصر مجزوءات ، مستخدما
فى ذلك الاحصاءات ، وبينما أن الغناء نفسه لم يكن يعتمد على
المجزوء أو غير المجزوء ، وإنما كان يعتمد على قيم صوتية وفيه تتجاوز
ذلك (٢) وقد رأى النقاد القدماء المعاصرون لعصر أنه جعل نفسه
مطلوبا من المرأة لا طالبا لها ، فهي تسد ومشفقة به ، ترضيه
لعنه ينظر اليها ، أو يلذت الى جمالها ، فقالوا : ان الحرائر لا يؤمن
على صورة كطك الصورة المثالية ، إنما يؤمن بالعفة والتعفف ، والدلال
وقالوا له كذلك : ما زد على أن تغزلت بنفسك ، يقول صاحب
الافانسي ان عصرنا أنشد الابيات التالية ابن أبى عمير :

بينما ينعثنى أبصر نثنى	دون قيد الميل بعدوى الأفر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى	قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تهنينا	قد عرفناه وهل يخفى القصر

(١) الدكتور شوقي ضيف : العصر الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠

(٢) انظر الشعر الاسلامى والاموى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ - ٢٥٣

• فقال ابن أبي عمير : - وقد أنشدنا - أنت لم تسب بها
وانما نسبت بنفسك ، كان ينبغي أن تقول : قلت لها ، فقال لي :
فوضعت يدي فوق كتفيه . (١) ولكن هذا لا ينبغي أن نعرضه
كثيرا يخضع للتقليد العربي في هذا المجال ، يشكو فيه الشاعر الهوى
والصدود ، والم الفراق وشبه ذلك (٢)

ويكتسب القصيدة الغزلية عند عروحة وتاسكا ، وترابطا بين
أجزائها ، بسبب القصة التي تنضمها ، فالقصيدة تجربة واحدة تنمو
وتتطور وتتعد وتتحل ، بصورة متكاملة . ومع أن هذه القصة كانت عموما
تتعلق بالمرأة التي يهواها ، لأنها تظل دائما من أية إشارة مادية
صريحة لما يدور بينهما ، كما كان يفعل امرؤ القيس مثلا . فقد
كان عروحة يتجنب كل ما من شأنه أن يكشف عن أمور مادية صريحة
تجرب في هذا اللقاء وأمثلة (٣) .

وقد فطن القدماء إلى أن عروحة كان غيفا ، أو على الأقل ليس ما
يجري في شعره صورة لما يجري في واقع الحياة فقالوا : " لم يذهب
على أحد من الرواة أن عروحة كان غيفا يصف ولا يقف ، وحوم ولا يرد (٤)

والحقيقة أن عروحة هو مسلم أرسقراطي في مجتمع متحضر بالقياس إلى
عصره ، ما كان يمكن أن يصور ما يدور بينه وبين المرأة بصورة فاضحة
بما كان المجتمع نفسه يسمح له بذلك ، وفي ظني أنه كان يكتسب

(١) الأغاني ، ج ١ ، صورة من نسخة . أ. المكتبة العصرية ، وزارة الثقافة
والإرشاد القومي ، الهيئة العامة للألف والترجمة والنشر ، ١٩٧١ م ١١٩
(٢) في الشعر الإسلامي والأموي ، مرجع سابق ، ص ١٩٥
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٦
(٤) الأغاني ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١١٩

تعبه شريفة من ناحية ، وقصير : " ما زال رأاه من أجرة آخرى ، وأن معاربه
كانوا يستبرونه شاعرا ، ويتسامحون معه في ذلك ، وقد كان قرشيا ، ولو نظرنا إلى موقف
اللقها ، والمحدثين من عمر لوجدنا تماحا شديدا منهم في هذا المجال فابن عباس يستمع
إلى شعره في المسجد الحرام ، وعند نافع بن الأثرق وناس من الخوارج ، يبالغون فيه ،
فانصرف عنهم ، واستمع لقصيدة عمر المشهورة التي مطلعها :

أمن آل نغم أنت غاد فبكر غدوة غد أم راح فبهر

وقد عاتبه نافع بن الأثرق بقبوله : " الله يا ابن عباس أنا نضرب البك
أكباد الأبل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام ، فتتأفصل
عنا ، وأنت غلام متروك فيشدك ... الخ (١) .

ويروى الخبر نفسه بصيغة أخرى عن لقها : عمر لابن عباس في المسجد
الحرام ، فيقول له ابن عباس بعد أن أنشده مطلع رائيته المشهورة :
... أنت شاعريا ابن أخى ، فقل ما شئت . (٢) فالشاعر يقول ما شاء
لأنه يقول ما لا يفعل ، ولا يؤخذ على فعله ، وأن عوف بن عبد الله
الزهري : " ما زال شائقا ناقته حتى كنهت له " بقصد رائية عمر (٣) .

والقصة التي يوردها صاحب الأغانى عن سعيد بن المسيب ، والتي
تدور وقائعها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حول تفضيل
شعر عمر على شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، تدل دلالة واضحة
على أن الناس لم يكونوا ينظرون للشعر إلا على أنه نوع من التسلية (٤)

(١) الأغانى ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ، ٧٣

(٢) ، (٣) المصدر نفسه ، ص ٨١

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣ ، ١١٤

وما يندل على أن قصص عصر العرامية في وما حوله من قصص هو
ضرب من تفسير ذلك الشعر وأحداث ضرب من المقارفة والقائمة أن عصر
سريع الوقوع في الحب ، وسريع الوصول إلى المرأة التي يهواها يقول
صاحب الاغانى * * * وهذا الشعر يقوله عمر بن أبى ربيعة في امرأة
من ولد الأشعث بن قيس ، حجت فبهجتها ورأسيتها ، فواصلته ، ودخل
اليها وتحدث معها ، وخطبها ، فقالت أما هيأ فلا سبيل إلى ذلك
ولكن إن قدمت إلى بلدى خاطبنا تزوجتك ، فلم يفعل * (١) وذكر
كتاب الاغانى قصة له مع كلثم بن - عبد المخزومية ، وهى قصة خيالية
أيضا (٢)

كما أن عمر - حسبما نرى القصص - يشوب بلباية بنت عبد الله
بن عباس ، وامرأة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وتصور القصيدة
التالية تلك القصة الخيالية له معها :

ودع كباية قبل أن ترحل	واسأل فإن قلالة أن تسألا
البيت لعمر ك ساعة وكأنها	فلعل ما بخلت به أن يبد لا
قال انصر ما شئت غير مخالف	فيما هويت قانتا لن نعجلا
لما نالنى حين همضى حاجة	ما بات أو ظلل العلى مفعلا
حتى إذا ما الليل حين ظلمه	ورقست غفلة كأنى أن يفعلا
مخرجت طامة من الثياب كأنها	أهتت بسبيل على كسب أهلا
رحت حين رأيتها فبهت	أحيم لها أنسى قبلا

(١) الاغانى ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، قصيدة عمر بن أبى ربيعة
تسابح اليها - المصدر نفسه ، ص ١٠٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠١

وجلا القناع سحابة مشهورة غرا، نعشى الطرف أن يتأمل
فلبثت أرقبها بما لو عافسـ بل يرقى به ما استعجاب ألا يسزل (١)

ومن الأمور الغريبة التي يرويها كتاب الاغانى لفا، عمر للمرأة - لاوعا
فى خلسة فحسب - بل وهى مع جماعة من صاحباتها ، بل ومجالسهم
الجماعات منهم ، وكان أولئك النساء لا قيم لهن ، ولا يحسن فى مجتمع
له عالىده وهماك مثلاً على ذلك : " ٠٠ اجتمع نسوة فذكرن عشرين
أبى ربيعة وشعره وظرفه ومجلمه وحد يشه ، فتشوقن اليه وتعتنقه .
فقالن سكينة : أنا لكن به ، فبعثت اليه رسولا أن يوافى الصوم
ليرة سـ ، فوافاهن على رواحله ، فحدثهن حتى ظلم الفجر وجران
انصرافهن . فقال لهن : والله انى لمحتاج الى زيارة قبر النبي صلى
الله عليه وسلم والصلاة فى مسجده ، ولكنى لا أخلط بزياركن شيئا نسـ
انصرفن الى مكة " (٢)

ومن أمثلة هذه الاخبار لقائه لنساء من قريش بالعقيق فيقول :
" ٠٠ ولعد عشرين أبى ربيعة نسوة من قريش الى العقيق ليتحدثن
معه ، فخرج اليهن ومعه الغريس ، فتحدثوا مليا وطرخوا ، فقام عسر
والغريس وجارشان للنسوة فأظلموا عليهم بطرفة بردين له حتى استترن
من العطر انى أن سكن ، ثم انصرفن " (٣)

وفى رأى أن هذا الخبر وأمثاله انما يفسر أبحاثا للشاعر كالشعر

(١) الترجيع السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ، ١٥١

الذى يرد بعد هذا الخبر مباشرة (١) وانتظر الخبر الذى احتالت جماعة من النساء فيه عليه لكى يترى من مدعيات أنهن لا يعرفنه ، ظفرا جاء متخفيا فى زى بدوى حادته ثم كشفن أمره ، وطبيعة الفكاهة ظاهرة فى هذا الخبر أيضا (٢)

وانما قصد تذكير هذه الاخبار ومثالها أن أقول أن هذه القصص ضرب من النوادر والخرافات ، وقد سبق على هذا الاساس أو لانها غير بعض ما ورد بشعره . وما كان المجتمع يسمح بهذا ، وهو مجتمع لا يخطط فيه الرجال بالنساء بالشكل الذى تصوره تلك القصص بما فيها من عذوان على أعراف الناس ودخول لبيوتهن بهذه الطريقة السهلة القريبة . وقد كان القدماء - كما سبق أن قلنا - يرون أن عرسين أبى ربيعة شاعر يقول ما لا يفعل ، أو بعبارة أخرى بونه شاعرا غفيا ومن ثم رأينا من يصفه بالعفة فى أكثر من موضع ، فضلا من أسباب عقوق عرسكنا عرسكنا فى المقال . يقول أبو الفرج : " مخاطبة النساء " وفى المقال . (٣) ويقول أيضا : " ومن عفة مقاله قوله : " ثم يورد أبياتا للعليل على ذلك (٤) ، وقد ذكر أبو الفرج أن عرسين أبى ربيعة قد عارض شعرا لجميل (٥) ، وهو ما يدل على أنه كان ينظم غزلا كغزل العذريين . ولو قرأنا القصيدة التى عارض بها " جميل " بن معمر لتهين لنا صدق ما تحول من أن الحدود بين الغزل عند من يمعنون العذريين ، والعاديين (أو الحضريين فى تسمية أخرى) وشعرا الذى يح

(١) المصدر السابق ، ص ١٥١ وانتظر الخبر الذى يذكره وطبيعته الهزلية فى المصدر نفسه ، ص ١١٩ ، ١٢٠

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٧٥ ، ١٧٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ (٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٥

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ، ١١٥

كجهر والغزدي والاخلط ، وشعراء آخرين لم يدخلوا تيار الغزل العذري
أو المادي ، وسنورد لهم بعض النماذج ، لم تكن تلك الحدود حاسمة
فأنت اخلل بين هذا الغزل وأرد .

وقد أشار أدكتور عبد القادر القبط ، إلى ذلك الجانب من غزل
عصر ، وبين كنهه ، أنموذجاً عاشقاً كنهه بين الشعراء ، ينادل من بهوى
حبا يحب ، وأنتم لغزاليون بحبيبها مباد لا إياها عاطفة يمثلها (١) .

يركز في عصره على عواطف المرأة المعاصرة له ، وما يبدو بخاطرها
وما يحل في نفسها ، تكون من حياتها من جديد أو من غيره ، أو غيرها من
الشاعر الآخر . ولكن الباحثين ما زال كثير منهم يرى أن صورة المرأة
في شعر عصر ، وكما اخلط بها كتاب الأغاني ، لا تمثل المرأة المعاصرة
لحصر ، وإنما هي صورة رسمها خيال عصر ، ولعلها رد فعل لظروف
اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية (٢) في حين يرى فريق آخر أن شعره
وخصوصاً بيته تصوير طيب ، كما يصف المرأة التي عاشت في تلك البيئة
محصراً صادقاً (٣) .

ويرد بعض القدماء تفوق عصر من أبي ربيعة على غيره من شعراء
الغزل إلى أمور كثيرة استحدثها ، تقتطف منها بعض ما ذكره صاحب
الأغاني في هذا الشأن كقوله : " أمير النجوم ، وشم الطير ، ونفس
السمر ، وحبر ما الشباب ، وسهل وقول ، يقاس الهوى فأرى ، وحسى

(١) د . عبد القادر القبط ، في الشعر الاسلامي والاموي ، ص

(٢) المرجع نفسه ، ص وانظر ايضاً :

وأخلى ، وحالف بسمعه وطرفه ... (١)

وطى أية حال فعمر شاعر كبير عرف له معاصروه قدره كشاعر ، كما عرف له المعاصرون مكانه من شعر الفزل ، وإن كان موقفه الأخلاقي ما زال مدظفا عليه ، فهناك من يقول أنه شاعر ، وأنه يقول ما لا يفعل ، وأنه كان غفيا . وهناك من يقولون غير ذلك ، ويتهمونهم فسي خلقه وسلوكه .

غير أننا نلاحظ أن القصة الشعرية التي تتضمن زيارة الشاعر لمعشوقته زيارة آثمة بنس قول الشاعر نفسه ، لم يكن أحد يأبه بها ، كانت موجودة في العصر الجاهلي ، وجدت في العصر الأموي متعلقة في صروجياته (الأخوي والمرجى) ولكن الغريب أن زيارة مثل زيارة هذه الجماعة قد صورها الفرزدق في شعره فكاد يقاء عليه الحسد ، وطرد من المدينة بعد ثلاثة أيام ، يقول الفرزدق في هذه القصيدة :

هنا دلتاني من ثمانين قامة كما انقش ياز أفتم الرئيس كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحس يرحى أم قتيل نحاذره
قللت : أرفعا الأمراس لا يشعروا بنا وأقبلت في أعقاب ليل أباده
أباد ربوا بين لم يشعروا بنا وأحمر من ساج طوح سامره
فقال له مروان : أتعول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرج عن المدينة ، فذلك قول جرير :
عليت تزي من ثمانين قامة وقصرت عن بيع الندي والكمارم
:: (٢)

(١) الأغانى ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٠

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢

ونقول ان حياة الفرزدق قد دخلها كثير من القصر وتكفى بقصته
مع الفتيات اللاتي كن يمتحنن في الغدير ، وكيف فعل معهن كما
فعل امرؤ القيس مع عشيقة ابنه عمه ومهجياتها حيث أخذ ثيابهن
وطالب الي كل واحدة أن تخرج من الماء ليراهن مقبلة ومدبرة ثم يدفع
لها ثيابها ولكن النساء خدعن الفرزدق وهربن منه (١)

وتحتل علاقة الفرزدق بالمرأة قصبا طويلا من ترجمته ،

وان كان عمر بن ابي ربيعة يظفر بنصيب الامد في هذا الجانب
كذلك ، وانما ذكرت الفرزدق لايمن أن قصص الزبارة في الشعر وجدت
حتى عند من لم يخصصوا في هذا الشرب من الغزل وحده . أو من
اشتهروا بغيره ، فالفرزدق معروف أن جريرا أفضل منه نبيا (٢) ومن
الامور اللافتة للنظر أن عمر كان يتغزل بالنساء الحاجات حتى من قريش
ولكن أحدا لم يحاول سجنه وكذب الباحثون صحة ما يروى في ذلك
من تلك الاخبار (٣) ولكن الفرزدق يطرد من المدينة ، ويدخل العرجى
المجنون لموت فيه لانه تغزل با امرأة ولد ثياب ما جعل غزله
هذا نوعا من القذف أو تنفير الآخرين نفسه .

فيستبعد هذا تحقيق قضية هامة سبق أن أشرنا اليها بايجاز
هنا هناك حدود قاصلة بين الغزل عند جرير ومد رسته (جرير والفرزدق
والأخطل) ، وعند مدرسة الشعر الحضري ، ومدرسة الشعر العدري ، وهل
كان الغزل يقتصر على هؤلاء المشهورين فقط ؟

(١) انظر الحبر بالتخييل ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤٢

(٢) انظر

(٣) انظر

أما عن الإجابة عن السؤال: الأثر في حيزا لديه الكثير من
القضايا التي عليه الغزل العدي . وان كانت تغلب عليها التقليد
فهو يتحدث عن السبق في قوله :

أو تضران سنا سبق أضاف لنا رسل السمعة ذا الانتقاء والدور (١)

ومن المعاني التي يطرحها كذلك الدعاء للديار بالسقيا :

قل للديار سقى أطلالك المطر قد هجرت شوقا فعاد يرجع الذكر (٢)
أسقيت محظلا يمتن وإبله أو هاطلا مؤثقا صوته درر

ومن تلك المعاني التقليدية حديثه عن رحيل الطعائن وأثر ذلك في
نفسه كقوله :

ان الفؤاد دفع النكس التي بكرت من ذي طلوع وحالت دنها البصر (٣)
أو قوله :

قد كنت في أثر الاطمعان ذا طرب موعا من خدار البين محزانا (٤)
ويكثر حديثه عن الشيب في هذا الغزل وأثر ذلك على موقف المرأة
منه كقوله :

وقد أقصرت عن طلب الفواني وقد آذن حلي بانصام حرام
إذا حدثنهن هزتن مبي ولا يغشين رجلي في المنام (٥)

(١) ديوان جبر ، ج ١ ، صدر سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

(٣) انظر ذلك الوجه بالتفصيل في المصدر نفسه ص ١٥٠ ، ١٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ ، وأخر بما حديثه عن انشيب والعدا المصدر نفسه

ص ٢٤٠ .

وهو على الطريقة القديمة يذكر: شراب رمز النجوم والخراب فيقول :

تعب الشراب قللت بين عاجل ما شئت إذ ظعنوا البين فأنعب (١)

والمرأة عند تعدد متخلف ولا يصدق بعدها أبدا ، يقول :

إن الغواني قد قطعن مودتي بعد الهوى ، ومنعن مفاشر (٢)

ومن غزله الذي يذكر فيه أحبه وحرته لرحيلهن ، وأشر ذلك في نفسه
وأشر للشيب في نفسه ، وفي نفس المرأة :

أرست بعينيك الدموع السوافح فلا العهد مضي ولا الريح يروح
محا ظللا بين المنقة والنفا صبا راحة أودو حنين راسع
بها كل ذيل الأصيل كأنه بدارة رهقي ذو نوارس رامس
ألا تذكر الأزمان إذ تنبع العبا وإن أنت صلب والهوى بك جامع
وإن أغمض مرضى لهن ريشة فقد أفضت تلك اللهب الصامع
منعت نفا النفس من تركته به كالجوى فعا يحسن الجوانس
تركنا لو حنا ولو شت جاد نسا نعيد الكرى بلح يكرمان ناسع
رأيتك مثل البرق تحب أنه قريب وأدنى صوبه منك تسان
إذا حدثت لم تلب عكسون مرها لمن قال انسى بالودعة بأوس
فلت التي ليست بذات دامة ولم نرها من شيب الكى قصاد
تعتب أن ناصاني الشيب أرغى إلى الرأس حتى أبيض منى الصائغ (٣)

(١) القصيدة السابق - ص ٢٦٦

(٢) القصيدة نفسها - ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

ومن غزله العفيف الرقيق قوله

مَنْ كَانَ الْخِيَامُ بِذِي ظُلُوحٍ	بُفَيْفَتِ الْغَيْثِ أَيْتَهَا الْخِيَامُ
تَكْرَمَ مَعَارِفُهَا وَمَالَكَ	دَعَائِمُهَا وَقَدْ بَلَى الثُّمَامُ
تَقَالَى فَوْقَ أَجْرَعِكَ الْخُرَامُ	بَنُوهُ ، وَأَسْتَهْلُ بِكَ الْغَفَامُ
مَقَامُ الْحَيِّ مَرَّلَهُ ثَمَامُ	إِلَى عَشْرِينَ قَدْ بَلَى الْمَقَامُ
أَقُولُ لِمَا حَسَى لِمَا ارْتَحَلْنَا	وَدَمِ الْعَيْنِ مِنْهُ مَرَجَامُ
أَعْضُونَ الرُّسُومَ وَلَا تُحَسَّى	كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذْ نَحْكَرَامُ
أَتَبَدُّوا أَمَّا بِسُومٍ كِبُومٍ	وَلَكِنَّ الرُّفِيقَ لَهُ ذِمَامُ

ومن الغزل الذي نجد له ليس ماديا على إطلاقه وإنما يجمع بين
الناحية المادية ، ونقد العادية الجمال الجسدى ، وبين العاطفة التي
يكتسبها العاشق لمعشوقته قول اسماعيل بن يسار النخعي في الغزل*
وهو لنا عر لا يعرف بالغزل :

١ - ما على رسم منزل بالجناب	لو أبان الغداة رجح الجواب
٢ - غيرته الصبا وكل طمس	دائم الودق مكهر السحاب
٣ - دار هند ، وهل زمانى بهند	عائد بالهوى ، وصفوا البناب
٤ - كالذى كان والمفاء مصون	لم تنبه بهجرة واجتساب
٥ - ذاك منها ، إذ أنت كالقطن غصن	وهى ردة كدمية الحسراب

كان مولى بنى تيم بن مرة تيم قريش ، وكان شقطنى لآل الزبير
وسمى النخعي لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعهم ، أولئك
كان يبيع النحد والفرش التي تنحد للعراك

- ١ - عاده : حتى العصور بعد طيب الطعم بارد الايساب
 ٢ - وأتيت من فوق لور نفسي كباخر اللجين في الزيساب
 ٣ - فأقل فيها الكلام وأقصر لئلا قلبي من لوعة والكشباب
 ٤ - صاح أبصرت أو سمعت برأع رد في الشرع ما نرى في العلاب
 ٥ - انقضت شررتي وأقصر جهلي واستراحت عاذلي من عتابي

الشرح :

- (١) رسم المنزل : الاثر أو بيقته ، أو ما لا شخص له من الاثار . الايساب : مكان ، رجوع الجواب : رد الجواب أو جواب الرسالة . وهو : حتى أسلوبه هذا يقلد الشعراء الجاهليين .
- (٢) السودق : الطير : الطلح : الطلع في الهطول ، والاقامة ، والاستقرار مكفهر المحاب : المحاب الغايظ الاسود . وكل مترادف .
- (٣) الصفو : نقيض الكدر . وصفو السود : خالص الحب
- (٤) تشبه : تخلطه . شاب الشيء : خلطه
- (٥) ذاك الصفاء : يقصد مفاء العودة . وصفو السود : خالص الحب أنت كالفن : أي وأنت شاب طوي كالفن لم يمنع شيخا بعدد
 رد : لينة . المحراب : الغرفة . وصورة البيت : أو من سبي بسني اسرائيل : أي ساجدهم التي كانوا جلسون فيها .
 الدمية : التمثال ، ربما كانت توجد في معابد النصارى عندئذ .
- (٦) الغادة : المرأة الناعمة اللينة البيضة الغيد . تسمى العقول : بأسر العقول والمقصود تسحرها بجمالها .

(٧) الزهَاب : الذهب أو ماؤه . أثبت : بقصد شعرها الفزير ، من أك
النبات كثر والشف .

(٨) أقصر : كف . اللوعة : حرقنة القلب . . لج : ألح .
الاكشَاب والكآبة : الفم وسوء الحال ، والاكسار من الحزن .

(٩) الملاط : العلية : قدح ضخم من جلود الابل ، أو من الخشب
يطلب فيها . والجص ملاط ، وطلب .

قري : قري الماء في الحوض يقر به قريبا وقري : جمعه
يا صاح : يا صاحبي

(١٠) الشرة : شرة الشباب تشاطه

ويرد الدكتور أحمد الحوفي ، مخالفاً في ذلك رأى طه حسين
والمستشرق " جيب " اللذين يريان أن الغزل العذري والحسري لم يوجد
على تلك الصورة إلا في عصر بني أمية ، ما يعني أنه لم يوجد في
العصر الجاهلي ، إلا في مقدمات القصائد ، فهو عندنا من الطلوعات
من الشعر الجاهلي التي لا تخالف الغزل العذري في شيء . فيذكر
غزلاً للتأنيف يشتمل به لذلك ، وهو قوله :

وقد أراني ونعما لا يمشين معا	والدهر والمعيشة لم يهيم بهما
أيام تخبرني نعما وأخبرها	ما أكنتم الناس من ينادي وأسرار
لو لا حائل من نعم علق بها	لا قصر القلب عنها أي أقصر
فان أفاق فقد طالت عما يشه	والمرء يخلق طويلاً بعد أطوار
تهبت نعم على الهجران عاتية	سقى ورعا لذاك العاتب الزاري
رايت نعما وأصحابي على عجل	والعيس للمبين قد شددت بأكوار
فريح قلبي وكانت نظيرة عرضت	حينما وتوفي أقدار لأقصد (١)

كما يذكر نموذجاً لعشيرة (٢) ونموذجاً لعروة بن حزام صاحب غصن
يقول فيه :

وانني لتعروني الذكراك روعة	لها بين جلدى والعظام دبيب
فما هو إلا أن أراها فجاء	فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصدف عن رأسي الذي كنت أرعى	وأنس الذي أزعجت حين تغيب

(١) انظر د . أحمد الحوفي - الغزل في العصر الجاهلي ، طبعة ٣ ، دار نهضة
مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١٩٠ - ١٩١

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩١ - ١٩٢

يظهر قلبى عذرها ومحبها على فالى من الغود صبر
 وقد علمت نفس مكان شفاها قريبا ، وهل مالا ينال قريبا ؟
 بنا من جهة الاحزان والبعد لوعة غاد لها نفس الشفيق تذيب
 وما عجبى موت المحبين فى الهوى ولكن بقا العاشقين عجيب
 خلفت سرب الماجدين لهمهم خشوعا وفوق الماجدين رقيب
 لئن كان يرد الماء حزان صناديا إلى حبيبا إنها لحبيب (١)

وقد يكون الفارق الوحيد بين غزل العذريين ، وبين غزل عمر فى
 قصة السعى بالحضرى ، أن عمر تجيبه محبوبته الى ما يبتغى منها من
 لذة جمدية ، متى وجدت الفرصة الفلائمة ، كالظوة وظلة الاحرام
 أو ما شابه ذلك . إذ الهذريون لا يفتقرون المرأة بتلك الصفة التى تحيط
 من شأنها .

صوره مقولات أخرى منها التالية لعروة بن حزام :

على كبدى من حب غفرا قرحة ومناهى من وجد بها تكفان
 فغفرا أرجى الناس مدى مودة وغفرا عنى المعرض المتدانى
 فباليت كل انتهيك بهما هوى من الناس والنعام يا عتيان
 فبغضى حبيب من حبيب لباينة ويرعاها ربي فلا يرمان
 هوى ناقتى خلفى وقد امسى الهوى وأنى وأياها لمختلفان
 يقول لى الأصحاب إذ هذلونى أشوق عراقي وأنت بهانسى ؟
 تحففت من غفرا من ليس لى به ولا لى لى الرايات يسدان

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٢

كأن قطرة علق جنانها
على كبدى من شدة الحظان
جعلت لعراق الهامة حكمه
وعتراف نجد إن هما شفيانسى
فقالا نعم تنفى من الداء كله
وقاما مع العواد ينسدان
فما تركا من رقية يعلمانها
ولا سلسة الا وقد سقائسى
وما شفيها الداء الذى يسى كله
ولا ذخرا نصحا ولا ألوانسى
فقالا شفاك الله والله ما ينسا
بما شفتك منك الفلوع يسدان (١)

ومضى الدكتور الحوفى فى بيان رأيه وفى تنفيه لهذا النوع من الغزل الذى يتشابه والغزل العذرى فى الاسلام (٢).

وإذا كان الدكتور طه حسين قد رد الغزل العذرى الى ظروف البيئة وأثر الاسلام ، وكذا لك رأى " جب " أن هذا الغزل ابن العصر الاموى فان الباحث يرى فى وجود مثل هذا الغزل ، ما يتفق هذه القاعدة لانه من غير المعقول أن تكون نظرة العريب الى المرأة نظرة مادية فحسب وأنها لم تكن الا متاعا لا يباد لها الرجل مشاعر ينقلها . وربما كان فى شعر بعض الشعراء ، كالنابغة والأعشى ، وامرئ القيس وطرفة من ليهو مع نساء - وربما كن - أى النساء - من الرقيق - هو الذى أشار هذه المسألة . فقد ظهر الاسلام فرأينا المرأة فى الاسلام معززة مكرمة وما كان يقللها عن العصر الجاهلى زمن طهيل ، بل وما يتفق هذه القاعدة أن شعراء الغزل العذرى ، وعلى رأسهم عمر لم يكن شعورهم كله فى المرأة ماديا ، بل لديهم أشعار تنطق عن أشعار العذريين فى شئ وسوف نجد غزليين آخرين ينظمون الشعر على طريق العذريين ، وهو بدرسته .

(١) المرجع السابق . ص ١٩٤ . ١٩٥

(٢) انظر المرجع السابق . ص ١٩٥ - ٢١٢

في الغزل لعمر بن أبي ربيعة

نعم
~~~~~

تصور القصيدة التي اخترنا منها الابيات التالية موضوع الدراسة قصة غرامية - ان صح هذا التعبير - بطلها الشاعر ومحبوبته ، وهو في القصة يفاжشها بزيارة مفاجئة ثم يحاورها حوارا يكشف عن عواطفها نحوه ، وتنتهي القصة بمفادرتة لها عند شروق الشمس . وفيها يتحدث عن عواطفه نحو المرأة التي احبها ، ومشاعرها نحوه كما قلنا - وقدم لنا صورته من خلال رؤيتها له . وقد قيل له انك انما تتوسب بنفسك فما هكذا تصور العاشقة ، بل ينبغي أن يذل العاشق ويخضع ، وتحدد المعشوقة وتمنع .

#### القصيدة ~~~~~

- ١ - أمن آل نعم أنتعداد فبكسر غداة غد ، أم راح فمهجر
- ٢ - حاجة نفس لم تقل في جوابها فتبلغ عذرا والقاله تعذر
- ٣ - تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ولا تأبها يملى ولا أنت تعبر
- ٤ - ولا قرب نعم ان دنت لك نافح ولا تأبها يملى ولا أنت تعبر
- ٥ - وأخرى أنت من دون نعم وشلها نهى ذو النهى لو ترعوى أو عكسر
- ٦ - اذا زرت نعم لم يزل ذو قرابه لها ، كلما لاقيته يتعسر
- ٧ - عزيز عليه أن ألم بهتها يمس لى الشحنا والبغض مظهر
- ٨ - ألكنى اليها بالسلام فأنه يشهر العاصى بها ونكسر
- ٩ - بأية ما قالت غداة لقيتها بعد فم أكان هذا المنبر

الفرس . ينتجم : يظهر  
لم يمنعني ما أريد ، بل تركني أنطلق اليهن ، كما انطلق الحصان  
رأى كرام الخيل أنه يظهر .

٨ - عين : جاسوس . الندم : الأسف  
وكن يجلسن في مجلس خال من الناس ، وليس هناك جاسوس أخفاء  
ولست أسفا على شيء .

٩ - الحاج : جمع حاجة  
مكنتم : أي يخفي سره عن الناس ، أو يخفي حاجته عن الناس .  
يتكمن من قضا : حاجته ، وهو من الحديث الشريف : ( استعینوا  
على قضا حوائجكم بالكتمان ) .  
حتى بلغت الدار التي فيها التما : جلست ضد الباب مخفيا حاجتي  
وصاحب الحاجات أو الحاج لابد أن يخفي سره عن غيره حتى يحقق  
النجاح فيما يرجوه .

١٠ - لما رأيتني كلابه في التلثم قالت من هذا ؟ قلت لها أنا الذي  
رخصوا لك عدوله .

١١ - جدي : الجد : الاجتهاد في الامر . وصف الهزل  
أعرضني : أفسدني ، والحرض : الفساد في البدن وفي الذهب  
وفي العقل . شفتي : هزلي . والحارث : الضني مرضا وسقما ،  
والشرف على الهلاك . يلى : صار إليها  
اننى امرو : أحببت حبا عظيما فاستعني الحب وأهزلني وأهيجت  
كالشوب البالى الخلق ، أو العريض الذي سببه مرضه الهزال ،  
وان كان المريض من الحب .

- ١٢ - تكلينى : تركينى  
لا تركينى أو بعبارة أخرى لا تركى أمره وانما بيد قوم يخشوننا  
الى الحد الذى لو أنه قدم لحنا لهم طعاما لاكلوه .
- ١٣ - أنعمى نعمة : يقصد أنعمى بالوصال  
منى النعم من أهلك : طالما أنعم على أهلك بالعطاء ، ولعله  
يقصد التوجه بأمر آخر .  
يقول لها أنعمى بالوصال ، فطالما كان أهلك كرما متعمين وان كان  
جودهم بالمال ، فليكن جودك بالوصال .
- ١٤ - المستر للمجيبين فى الدنيا وحكمة ذلك ، أنهم ان تأبوا بعد انهم  
فى الهوى يتمكنون من النجاة ، لان فضيحتهم قد تحول دون توبتهم .
- ١٥ - يعينى : رهن بالوفا : كناية عن "جاهدة على الوفا" بالعهد .  
الكاشح : العدو  
لانف الكاشح الرغم . حتى ولو كره الكاشح ذلك وأباه ، فأغفاه  
فى الرغام : أى التراب .
- ١٦ - طيشت : بقيت ، أو انتظرت
- ١٧ - أكواش : جمع كأس .  
أعمل : العمل ، والعسل : الشربة الثانية . أو الشرب بعد الشرب تباغا  
البارد : الرقيق . النسم : الرائحة
- ١٨ - ساطع : سطع الغبار : ارتفع ، وكذا البرق والشمس ، والندى يسبح  
والرائحة : سنا : ضو  
يضطرم : يشتعل

- ١٩- كثرة الغرس المنسوب قد حشرت عنه الجلال تلالا وهو بالتحصين  
 ٢٠- قد عتسمن ولا شيء\* يراجعسنى الا البنان ، والا الاعين السجم  
 ٢١- لقا اوردن كلامى عتده اعترضت من دونيه عيرات غانسنى الكلام  
 ٢٢- عتقاد اذ زمن نهضة للقيام معنى اعجازهم بل من الانصاف تنقسم (١)

#### الشرح :

- ١- حور : جمع أحور وحورا ، والصور : أن يشتد بياض العين ، وسودها  
 وتشد بحدقتها ، وتبقى جفونها : وهي في حوالها .  
 في ملاطقة : ملى رفق . ثقفا : ثققت ثقافة : صار حاذقا فثقا  
 فهو ثقيف . النساء : الكثير التأخر والمأجل لما يطلب منه عدا .  
 الوهم : الكثير الوهم ! والوهم بخلاف الحقيقة . تقول توهمته ذهب  
 فإذا به كلب مثلا .  
 فتيات جميلات العيون أرسلن الى رسولا يطلب الى أن أزورهم ،  
 ولقى الى ذلك نى رفق ، وهو رسول حاذق ماهر ، لا يقع فيما  
 يقع فيه غيره ، من تأخير تطيق ما يطلب منه ، ولا يتوهم به سالا  
 وجود له .  
 ٢- هدا : هدا الليل ، وهدأته ، ومهدته : أى حين يهدأ الليل  
 والرجل . غفلت : غفل عنه غفولا : تركه وسها عنه .  
 الاحرام : حارم وحرام واحرام وحرام : وهو من يكلف بحرامه  
 شيء . وحايته : افتضح : فتنحه : كشف مساويه فافتضح والاسم  
 الغضبة .

(١) الاغانى ، ج ١ ، مرجع سابق ، وقيل أن هذه القصيدة والقصة لاي حمراب  
 العقيلي انظر : المرجع نفسه ، ص ٣٩١

أرسلن رسولاً الي أن تعال اليها زائراً لئلا إذا هدا : الليل ، وسها  
الحرامين حراسنا ، بقصد الرضا من الأهل ، لانهم لو علموا  
بالزيارة لاقتضح أمرنا .

٣ - الهول : المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه .

تجشم : جشم الأمر : كلفه على شقة .

فجئت عليها دعوتهن ، أمسى خائفاً ، وقد كلفت نفسي أمراً خطيراً  
لا أدري ما تنتجته وأن تحمل المرء المشقات على سهيل هواه دليل على  
كرمه .

٤ - إذا خوفت من شيء أقول للرسول الذي دعاني ، امسك كل ما قدر  
الرحمن مفعول ، جئت الأقدام وطهت المحف .

٥ - طله : الطل : المطر الضعيف أو أخف المطر وأضعفه أو التندى أو لونه  
دون المطر .

الديم : جمع ديمة وهي السحابة .

رطبا : غير جاف . البان : شجرتين أغصانه مستقيمة

امتلى في رشاقة وهدوء كما يتحرك غصن من البان رطباً أمطرته السماء .

٦ - الحلة : ازارودا : يبرد أو غيره ولا تكون حلة إلا من ثوبين  
أو ثوب له بطانة .

السوس : يلد بالمغرب . تغفو : والمحو والامحاء .

مشية : أشرب الثوب المرق : كلفه ، واشترب لونه : اشتد

يرتدى حلة من طراز يصنع في سوس تزيل به أدها أكثر أقدامنا .

٧ - خلت سبيلي : لا علف في طريق .

عذر : ذا غدر : حصان ، والمذار من اللجام : ما سال على خد

كما أن بعض تعبيرات من لغة عمر قد سقطت في شعره ، وعلى سبيل  
الضال ، قول العرجي :

فجئت أمتي على هول أجنعه تجشم المرء هولا في الهوى كرم  
وهو مأخوذ من قول عمر :

ولقد تجشم الهول المحب المغرور

ويصف العرجي لملايحه الثمينة التي تعبر عن سمو طبيقته وشرفه  
عليه لعمر إذ يقول :

قليل على ظهر العطية ظالم سوى ما نفى عنه الرداء المجيد

ويقول العرجي في هذا :

في حلة من طراز السوس مشربة نغفو بهداه ما أثرت قدم

وهذا مجرد تشيل ، لا يدل على أن العرجي كان مجرد مقلد لعمر  
ومن الانصاف القول أنه كان أكثر غاية بقوة أسلوبه ومقلده من عمر  
ابن أبي ربيعة ، كما كان عمر أكثر منه قدرة على تصوير مشاعر  
المرأة ، وتوسعا فيه . ولعل مرجع الاختلاف في الأسلوب بينهما  
أن العرجي كان شاعرا وفارسا مقاتلا خرج للغزو والقتال ، بينما  
عاش عمر مالم ، يحيا حياة رقيقة ، فجاء شعره سهلا في غير  
أسفاف .

قال متغزل ( على طريقة عمر بن أبي ربيعة )

- ١ - حوًّا بعثن رسولاً في ملاطفة
  - ٢ - الى أن اتينا هداً اذا غفلت
  - ٣ - فجلت أمشي على هول أجشعه
  - ٤ - اذا تخولت من شيء أقول له
  - ٥ - أمشي كما حركت ربح بهانية
  - ٦ - في حلة من طراز السوس مشرق
  - ٧ - خلّت سهلي كما خلّيت عذري
  - ٨ - وهن في مجلس خال وليس له
  - ٩ - حتى جلست أزاو الباب مكتما
  - ١٠ - قالت كلابه من هذا ؟ قلت لها
  - ١١ - أنا امرؤ جدّي حبّ فأعزّضني
  - ١٢ - لا تكلمني الى قوم لو انتهت
  - ١٣ - وأنعمي نعمة تجزي بأحسنها
  - ١٤ - ستر المحبين في الدنيا لعلمهم
  - ١٥ - هذا يعني رهن بالوفاء لكم
  - ١٦ - قالت رديت ولكن جئت في قمر
  - ١٧ - فبت أشقى بأكوا من أهل <sup>ورث</sup> بها
  - ١٨ - حتى بدا ساطع للفجر تحسبه
- ثقفا اذا غفل النساء الرهيم  
أحراسنا ، واقتضنا ان هم علموا  
تجشم المرء هولاً في الهوى كرم  
قد جفّ فامض بشيء قدّر الظلم  
فمننا من البان رطباً طله الذيم  
تغفو بهدايها وأثبرت قدم  
اذا رآته عشاق الخيل ينتجيم  
عين عليهن أخفاها ولا نكدم  
وطالب الحاج تحت الليل مكتم  
أنا الذي أنست من أعدائه زعموا  
حتى بليت وحتى شقني القم  
من بغضنا اطعموا لحى اذن طعموا  
فطالما مسّني من أهلك النعم  
أن يحدثوا نوبة فيها اذا أتموا  
فارضى بها ولانف الكاشع الرشم  
هلا طهشت حتى عدّخل الظلم  
من بارد طاب منها الطعم والنعم  
سني حريق بليل حين يخطرم



المرجى ( فى الغزل )

\* هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية  
بن عبد شمس \* (١)

\* وقد لقب بالمرجى لانه من عرج الطائف ، وفى قرية من نواحي الطائف  
ويقول ابن قتيبة : \* هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان يدرى  
بموضع قبل الطائف ، يقال له العرج فنسب اليه \* (٢) ، وهو قرشي  
وقد اشتهر بالغزل \*

وكان ينحونحو عمر بن أبى ربيعة فى الغزل : قال أبو الفرج :  
\* .. نحا نحو عمر بن أبى ربيعة وشبهه به فأجاد ، وكان مشهورا  
باللهو والصيد حرصا عليهما قليل العناية لأحد فيهما \* ولم يكن  
له نياحة فى أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه \* وجمدا \* التى شبه  
بها هى أم محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي ينسب اليها ليقضح  
ابها لا لصحة كانت بينهما ، فكان ذلك سببا فى حبه إياه ورضاه  
له ، حتى ماتت نفس السجى \* (٤) \*

ويوصف بالفروسية ، فضلا عما يوصف به من جمال الصورة ، فكتب  
شارك فى الجهاد مع سلمة بن عبد الملك بأرض الروم \* يقول أبو الفرج  
\* أن المرجى كان كوسجاني الحنجرة ، وكان عا حبيب غزل وفشوة ، وكان

(١) الأغانى ، ج ١ ، طبعة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ، ص ٢٨٢

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٨٥

(٣) التمر والشعر ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٧٨

(٤) الأغانى ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦

يمكن فقال له في الطائفة يسمى العرج ، فقبل له العرجي ونسب  
الى ماله . وكان من أنقرسان المعبد والذين ، مع سلامة بن عبد الملك  
بأرض الروم ، وكان له معه بلاء حسن وثقة كثيرة . (١) وقد قال في  
سجنه :

كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك تدينى فى آل عمرو  
أضاعونى وأى فتى أضاعوا لهجم كهيبة وسداد ثغرى (٢)

ومن الاخبار المضحكة والمصنوعة في البيت نفسه ما قبل من أن امرأة  
خزنته ابنة عمر بن أبي ربيعة ، فقال لها : ان هناك شاعر قرطبي  
آخر منك منك ، وهو العرجي . أنت نفسها ، يقول صاحب الاغانى  
" قبل لها : خفضى عليك ، فقد تدينى من ولد عثمان رضى الله  
عنه يأخذ مأخذ . وسلك منك . ثم الت : أنشدونى من شعره  
فأنشدوها ، فمحدثتها وضحكوا الت : الحمد لله لم يضيع  
حرمه . (٣)

والمرجى - وان كان يرسل الى المرأة وترسل اليه ، ويوزعها خفية  
حين يغفل الرقيب . - يزور تلك المرأة ومعها جميع من صوحاتها  
أحياناً ، كما كانت زيارة عمر لمحبوبته تتم بحضور جميع من صوحاتها  
ينصرفن عنها بعد زيارته . كما أن طبيعة المرأة ، وصورتها الرفيعة  
هى الصورة نفسها عند عمر أو بعبارة أخرى تتشابه صورة المرأة ونساء  
القصيدة عند عمر والعرجى . وكان الأخير قد استعار الشكل من عمر ،

(١) الاغانى ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٧

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٨٧

المودة للفنزل  
( لعمر بن أبي ربيعة )

كان عمر حين أبين حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعنى رقية • فأنصرف  
عمر إلى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يبرد طبعها •  
فقال ليد : إن لك لامرا ، وأراك تهيد أن تقول شعرا فقال هذه الابهات  
الصحة : (١)

- |                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| ١ - حول وليدتي لما رأيتني     | طربت وكنت قد أقصرت حينها  |
| ٢ - أراك اليوم قد أحدثت شوقا  | وهاج لك الهوى داء دفينها  |
| ٣ - وكنت زعمت أنك ذو عزاء     | إذا ما شئت فارقك القرنها  |
| ٤ - يريك هل أناك لها رسول     | فشافك أم لقيت لها خديها   |
| ٥ - قللت شيئا إلى أخ حبيب     | كيعش زماننا إذ تعلمينها   |
| ٦ - ففسي على ما يلقي بهوسد    | فذكر بعض ما كنا نسينها    |
| ٧ - وذو الشوق القديم وإن تعزى | مشوق حين يلقي العاشقينها  |
| ٨ - وكمن من خلة أعرضت عنها    | لغير قلبي وكنت بها غنيها  |
| ٩ - أردت بعدادها فصدت عنها    | ولو حين الفؤاد بها جنونها |

الشرح :

- ١ - المودة : الفتاة أو المبهمة ، والامة - أحدثت شوقا : أخذ في  
٢ - طربت : أطرب خلة محبيب المرء في حالتي الحزن والسرور

أفصر : كف ، وهاج أنار . دهننا : أي مدفوننا  
لما رأيتني الفتاة وقد ظهر على محياي ما كان يظهر من علامات الانفعال  
عند بداية قول الشعر ، وكنت قد كلفت تعمر نظمه وقتا . قالست  
أراك قد بدأت شوقا جديدا ، وأثار الهوى ما كان قد اخفى من  
هواك القديم الذي يشبهه الشاعر بالدا . وهو المريض .

٢ - ٤ رعم : قال إن صدقا وإن كذبا ويلبس على استخدامهما أن يكون في  
الكذب . الخدين : الخدن : الفاحش والخدين : من يخادك في  
كل أمر ظاهر وباطن . العزاء : تعز : السوى ، وتعز : أي تسلي  
وأنسي الهموم . القرين : القارن والمصاحب . والمقصود الحبيب هنا .  
وكنت رعم أنك قادر على تسيان أي شخص أو أي حبيب ، فإذا ما شئت  
فراقه فارقت .

هل نعلم بك أنه لم يأتك منها رسول ، فأشار شوقك ؟ أو وجدتها  
قد اتخذت لها صاحباً غيرك ؟

٥ - ٦ فقلت شكاً إلى هواه أغحى عاشق ، كما كتبنا نفع في بحر زماننا  
الماضي وأنت تعرفين هذا . وتصر على ما يلقاه من هوى هند فذكرني  
ما كنت قد نسيت من سابق الهوى والعشق .

٧ - وذو الشوق القديم وأن تسلي وتسير ، يثور شوقه حين يلقى بغيره  
من العشاق .

٨ - خطبة : الخليفة . قلبي : كرايمته . أعرضت عنها : صدوت  
ضنين : بخيل

نكس من خطبة قد صدت عنها وأعصت ، لا كراهية حتى لها فقد كنت  
بخيلاً بها وما كنت مفطراً ، ومع ذلك قطعها وصدت عنها .

٩ - ولكن أردت بعدادها فصدت عنها ، ولو جن القلب بحبها جنونا ما عدت إليها .

أبلغها سلامي ، وكن رسولى اليها بهذا السلام ، فان العذال  
اذا تزنها يشهرون بنا وشيعون أمر هذا اللقاء بين الناس ، فهمج  
أمر متكررا قبيحا .

٩ - ١٠ - الآية : الاماء والعلامة  
يدل على ما قالته فى مكان كنت لقيتها به يدعى : مدفع أكتان حيث  
وصفتنى بأننى المشهور أى المشهور شهرة قبيحة بالنساء .  
المدرى : المشط  
أشارت بالمشط الذى تستخدمه وقالت لاختها أهذا هو العنبرى  
الذى كان يتحدث فى شأنه الناس .

١١ - أطراء : أحسن النساء عليه . أقبر : أموت أو أدفن فى القبر  
أهذا الذى أحسنت النساء عليه ، وصفته فبالفت ، فوحيا لك ما كنت  
لأنسى مثله حتى أفارق الحياة . وهذا بيان من الشاعر لأعجاب  
المرأة به .

١٢ - نصه : وسيرتعى ونصيص : جد ورفيع  
ونحن ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير  
فقال لها نعم : أنه هو ، ولكنه تفسر ولا شك بسبب علة السير  
وفى حبر الهاجرة . وهذا دليل على رجولة الشاعر وقوته .

١٣ - حال : تفسر قد يفسر : أى يفسر حقاً  
لكن كان هو هذا الرجل الذى تشيرين اليه ، فقد تحول عن عهده  
وتسببنا والانسان يفسر لا محالة .

١٤ - الشمس عارضت : علت فى السماء وقت الهاجرة واشتد حرها .  
فيضحى : سار فى وقت الضحى ، وضحى : برز للشمس

يخسر : يبرد • والخسر : البرد •  
رأت هذه المرأة رجلا اذا اشتد حرارة الشمس وتوسطت السماء ،  
فانه يتعرض لها صافرا ، وفي الليل البارد يتعرض لشدة البرد  
انه رجل مفاصر لا يبالى حرا ولا يبردا •

١٥ - جاب الارض : قطعها • وجواب : هجعة بها الغنة  
هناك فتبه فسلوات : كثير القطع للفلوات فكل غلاة تلمسه لآخرى وكان  
كل واحدة هدف به الى صاحبها •  
الاشمخ : الشفق الشعر • والاعنبر : الذي علاه الغبار رأى الشراپ  
لهذا الزيفل صلازم للسفراء ، ملصق له لا يكتسر القطع للجبهات المختلفة  
سافر فهو يتنقل من مكان الى آخر ومن صحراء الى أخرى ، وسيف  
سفره تنعت شعره وأغبر جسمه وأتوا به •

١٦ - الرءا : الشوب • المحبر : المزين بالنقوش والمزور •  
هذا الشاب رشيق ليس خضم الجسم ، وكان العرب يريدون الشاب  
أن يكون رشيقا مشيق القوام • ويرندى شها محبرا جميلا •

- ١٠- أشارت بدارها ، وقالت لاختها أهذا الغيبي الذي كان يذكر؟
- ١١- أهذا الذي أطهرت نعتا ، فلم يكن وعيشك أشاء الى يوم أقبر
- ١٢- قالت : نعم لاشك غير لونه سري الليل يحيى نسه والتهجر
- ١٣- لكن كان اياه لقد حال بيننا عن العهد والانسان قد يتغير
- ١٤- رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى ، وأما بالعشى فيخصر
- ١٥- أخا سفر ، جواب أرض ، عاذفت به فلوأت ، فهو أشعث كفسير
- ١٦- قليلا على ظهر المطية ظلمه سوى ما نفسى عنه الرداء المجر

الشرح :

- ١- غاد : يذهب في الصباح • مهجر : المفروق والهاجرة •  
مكر : ذاهب في الكرة • راح : ذاهب  
هل مشترك آل نعم في الصباح الباكر ، أم في آخر النهار •  
اقتراب غروب الشمس - والشاعر يخاطب نفسه بطبيعة الحال ،  
ولكنه يجلد السابقه يخاطب شخصا خياليا ، أو كأن شخصا خياليا  
يخاطبه •
- ٢- المقالة : القول أو الكلام ، يريد أن ما يقوله الانسان يجعل غيره  
يعذره • تعذر : أعذر : أعذري عذرا ، وتعذر أي توجد له عذرا •  
لنفسى حاجة نفسك التي لم تفننها ، ولم تعتذر لمحبيبتك عن عبادك  
اياها وقد تكون المقالة عذرا لمحبيها •
- ٣- تهيم : هام بهم هياما وهيامنا : أحب امرأة والهيام : كالجنون  
من العشق • جامع : شئ • يجعك ولا الشغل جامع : أي أنه لمن  
يجتمع وحبيته • طمر : طمر عن الامر قصورا وأقصر : أي انتهى •

أنت تحب " نعم " حبا شديدا ، ولكن شملكما لا يجتمع أبدا ، كما  
أن حبيل المودة مقطوع بينكما كذلك ، وأنت لا تكف عن عشقك إياها  
وكانه يريد أن يقول ان الماعدة بينهما لم تحبل فيه ، بل تريد  
عقابه .

٤ - دنت : قريب . يملى : يجعلك تسلو حبهما أى تساء  
تأبها : بعدها .

وإن قريب تعطفين يتفعلك قريبا ، لأن قوما يحولون بينك وبينها  
فهي ليست امرأة مبدولة لمن يريد ، بل لها من قوما من حبهما ،  
كما أن بعداك لن يملك حبهما ، ومع ذلك فأنت لا تحب على فراقها .

٥ - وهناك امرأة أخرى جاءت تعبر على وصلها ، وكأنها تريد أن تحتل  
مكان نعم فى قلبى . ومثل هذه المرأة ، ينهاها عن ذلك عاقل ،  
لو أنها كانت ترجع عن غيرها ، ولو كانت عكر ، لأنها لو فكرت  
عكرا صحيا لعلمت أنى لا أبغى بنعم بدىلا ، ولا يمكن أن أحب  
سواها . والنهى : العقل .

٦ - يتمر : تمرو تمر : غضب وساء خلقه .

إذا زرت " نعم " وجدت أحد ذوى قرابتها كلما لقينى يمدى لى العداوة

٧ - عزيز عليه : أى اهتم عليه . ألم ببنتها : أزور بنتها  
الشجنا : العداوة والبغضاء .

شديد على نفسه ومولم لها أن أزور بنتها ، وهو لهذا يخفى لى  
البغض الشديد ويظهر العداوة .

٨ - ألقى إليها : كن رسولى إليها . شهر : يعرف ويظهر بصوره  
فيه . أى يصحح أمرا شديدا منكر



٢٠ الفيرة : بهاء في جبهة الفرس  
المنسوب : ذو النسيب • حسرت : كشفت  
الجلال : جمع جبل ، وهو ما يوضع تحت السرج •  
تلا : تلا : السبق لمح

٢١ - يراجعني : راجعه مراجعة أرجعه عما يريد  
السجم : سجم الدمع سجوما وسجسته العين : قطرد منها وسال  
كثيرا أو قليلا •

٢٢ - رمن : الروم : الطلب  
اعجازهن : أردافهن  
تنقسم : تنكسر

### الاحوص

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي أيمن  
الافطح . لقب الاحوص لاحوص كان في عينيه ، وهو ضيق بعثرى مؤخره  
العين وكنته أبو عاصم أو أبو محمد . وقالوا كيان أحمر دمها فصرها (١)  
وجد حصى الدبر ، وهو بهذا اللون صحابي شهيد ، وكانت له مكانة  
بحسبها في هذا الشأن ويبدو أنه توفي في سنة ١٠١ - ١٠٥ هـ .

وقد ألفت الاحوص شئنا لان يكون بها لامعا في دور الفساح  
خاصة في دار جميلة ، وكان الاحوص شديد الافتقار بها كثير السرد  
عليها ، لا يكاد يفارق منزلها اذا جلست وكانت هي له مكرمة . (٢)

وقد اشتهر بسوء الخلق ، وقصته مع العتبات معروفة . والاحوص  
شاعر مداح ، ويقال انه نفس بسبب غزله وأنه أرسل من سجنه يطلب  
الى الخليفة عمر بن عبد العزيز اطلاق سراحه . فيقول :

الاصلة الارحام أدنى الى النفس وأظهرهم في أكفانه لو تكرر  
فما ترك النفع الذي قد صنعت ولا الغبط مني لهم جلدًا وأعظمًا  
وكنا ذوي قرين لديك فأصبحت قرابتنا تدبها أجده مرموًا  
وكنت وما أمأت مثلك كسابق لوين قطره من بعد ما كان غمها

وخرجه الويد من سجنه ، وهكذا يعيش في حياته شاعرًا ، ولا تأنس

(١) شعر الاحوص الانصارى ، تحقيق ، عادل سليمان جمال ، الهيئة  
العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٥

في ديوانه قصائد تهين الزبارة على طريقة عصر بن أبي ربيعة ، ولكنها مقطوعات قصيرة (١) تشير إلى زيارة قديمة لمحبيته في بيت واحد (٢) وأخرى (٣) وعند قصيدة طويلة كأشعار العذريين (٤) يقول مثلاً (٥)

هل في ادكار الحبيب من حرج أم هل لهم الفؤاد من فرج  
أم كيف أنسى رحلتنا حرمًا يوم حللنا بالخلل من أمج  
يوم يقول الرسول قد أذنت فأت على غير رقبة فليج  
أقبلت أمعى إلى رجالهم في نعمة من نسيه يا الأرج

ويبدو من شعر الأحوص الموجود بين أيدينا أنه كان يختلف عن صاحبيه عصر بن أبي ربيعة والعرجسي ، لما كان يصرح بزيارته للمحبة أو بعبارة أخرى بطيل في ذلك ، ولكنه عرف بعد أحبته المغنيين والمغنيات وأنه تعلق بأكثر من واحدة منهم ، وأنه تفضل بالمرأة عدسى أم جعفر (٦)

وقال ابن سيب مؤسسه أنه كان يشبه بنسباً أهل الدياسة يقول ابن سلام : " كان الأحوص الشاعر يشبه بنسباً أهل الدياسة فتأذوا به ، وكان معيذ وغيره من المغنيين يتقنون في شعره فتكسأه قومه ، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك . فكتب إلى أبيه بالديانة أن يشره

(١) شعر الأحوص الانصاري ، ص ١١٣ ، ١١٤

(٢) نفسه ، ص ١١٧

(٣) نفسه ، ص ١١٨ ، ١١٩

(٤) نفسه ، ص ١٣٦ ، ١٤٠

(٥) شعر الأحوص الانصاري ، مرجع سابق ، ص ٢١٧

(٦) طبقات الشعراء ، مرجع سابق ، ص ٦٥٧

مائة صوت • حقيقة على اليلس الناس ، ومعيه الى ذو ملك ، قعمل  
به • (١)

ولعل أغلب أشعاره لم يصل اليها ، ولكنه ولا شك ، قد وصم  
بالانحلال ربما لسلكه الشخصي ، فان أشعاره ليس فيها انحلال ولذا  
فان وضعه مع عصر والمجسى ، انما هو عمل يقوم على الشهرة وهو  
بخلاف عصر والمرجى بمدح مدائح مألوفة ويهجو كذلك (٢) ثم هو  
لم يكن ثريا ، بل ولا يداينهما تسبا ، وان كان جده صحابيا جليلا ،  
ولذا لم يسوف نلاحظ أن عزله يخلو من التحليل الخلقى الا فى بعض مواضع  
قليلة لا يعتد بها •

ثم هو فى عزله اميل الى التقليد ، ورد النزل فى أوائل  
بعض القصائد عند كأنه مجرد تقليد ويخلص بالطريقة القديمة منه  
الى المدح فيقول :

أمنزلنى سلبى على القدم اسلدا فقد هجما للشوق قلبا متيما  
وذكرت ما عصر الشباب الذى مضى وجدته وصل حله قد تجد ما  
وانى اذا حلت بين مقبلة وحل يوم جالسا أوهمما  
بما نيت شطت ، فأصبح نفعها رجاء وظفا بالمعيب مرجمما  
أحر دنو الدار منها وقد أيسى بها صدع دثر الدار الا تلتما  
بكاه ا ومن يدري سوى الظن من يكى أحيا سبيكى أم زابا وأظنما

(١) طبقات الشعراء ، ج ١ ، صدر سابق : ص ١٥١

(٢) شعراء لاجور الانصارى ، صدر سابق ، ص ١١٢ / ١١٣

قد عبا وأخلف للخلقة مدحة تنزل منك يومئذ أو عهدك أنعماء (١)  
 وعلى هذا نقول أن الاحوص أكثر تقليدية من زمانيه . ومع ذلك فأنه  
 غزله غفيف يمثل حارة وصدقا . ويتعد عن الأوصاف العادية .  
 ومن ذلك قوله :

يا موقد النار بالعليا من اضم أوقد ، فقد هجت شوقا غير متعبرم  
 يا موقد النار أوقدها فان لها سنا بهيج فوئاد العا ، الشدم  
 نار أضاء سنا اذ نكبت لنا سعدية حطبا ينفذ من العرقم  
 ولا ثم لاني فيها فقلت لسه قد شفت جمعي ، سوا ودي  
 فما طربت تشجو كنت تألمسه ولا تألمت تلك ألد ارمن أمسك (٢)

وصف حبيته بالخل والضعف والعفان بقوله :

خلياي من غمظ بن مرقه بلفدا ربا نل مني لا أنيد كما وقسرا  
 ألا لست شعري هل السى أم جدد سبيل ، فأما الصبر عنها فلا صبرا  
 واني لا متشئ الحديث لاجلها لاسمع منها وهي نازحه دلسرا  
 ولعجب دار دارها غير انسي اذا ما أتيت الدار توجعني مفسرا  
 عشية ألوى بالرداء على الحشا كان ناسا من دونه مشعل . جترا (٣)

وهكذا يوضح أن الحدود الفاصلة بين غزل الشعراء حتى شعراء الديار  
 كجبر والفرزدق والاختلاف ليست حدود فاصلة ولا حارمة .

(١) شعر الاحوص الانصارى ، ص ١٩٥ - ١٩٦

(٢) نفسه ، ص ٢٠١

(٣) السدر نفسه ، ص ٢٢٠

المراجع والمصادر

- دكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد : شعر عبد الله بن قيس الرقيات  
ج ١ ، مكتبة الشهاب ، القاهرة ١٩٧٧ .
- أبو الفرج الأصبهاني : الاغانى ، ج ٢ ، تحقيق ابراهيم اليازجي ،  
دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ .
- « الاغانى ، ج ٢١ ، تحقيق عبد الكريم ابراهيم  
المنياوي وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة ١٩٧٣ .
- « الاغانى ، ج ٨ ، تحقيق ابراهيم اليازجي ، دار  
الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ .
- « الاغانى ، ج ١٢ ، مصور عن طبعة دار الكتب ، طبعة  
دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ .
- « الاغانى ، ج ٣ ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القوي  
القاهرة ، د . ت .
- « الاغانى ، ج ٤ ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ،  
القاهرة ، د . ت .
- أبو احمد العسكري : المصون في الادب
- دكتور احمد مرسى وآخرون : قصائد عربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر  
القاهرة ١٩٧٨ .

- دكتور عبد الحفيظ : الفئز في العصر الجاهلي ، ط ٣ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦ .
- دكتور شكى فيصل : تطور الفئز بين الجاهلية والاسلام ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣ .
- دكتور شوقي ضيف : العصر الاسلامي ، ط ٦ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٦ .
- « التطور والتجديد في الشعر الاسوي » ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٣ .
- الشيرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبي وشركاء ، القاهرة ١٩٦٨ .
- دكتور صلاح الدين الهادي : اتجاهات الشعر في العصر الاسوي ، مكتبة الذئبي ، القاهرة ١٩٨٦ .
- دكتور طه حسين : تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ .
- « في الادب الجاهلي » ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ .
- « حديث الاربعة » ، ج ١ .
- عباس محمود العقاد : جميل بثينة ، دار الشعب ، القاهرة ، د . ث .
- عبد العزيز الرفاعي : كسب بن مالك الصحابي الاديب ، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، الرياض ١٩٨٢ .

- دكتور عبد القادر القنط : في الشعر الاسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٧٦
- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الواسطة ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ١٩٧٦ .
- كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، ط ٣ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ .
- كارل نلتنو : تاريخ الادب العربي ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٠
- محمد بن سلام الجحى : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ج ١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٧٤ .
- دكتور محمود زيني : دراسات في ادب الدعوة الاسلامية .
- الميرد : الكامل ، ج ٢ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥ .
- دكتور يحيى الجوى : شعر المخضرمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨١ .
- دكتور نجيب البهيتى : تاريخ الشعر العربى حتى أواخر القرن الثالث الهجرى دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٢ .
- دكتور نعمان أمين طه : جبر . حياته وشعره ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .
- دكتور نسيان التانى : التسوق الاستثنائية في الشعر الاموى ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ .



- ١٩٦٩
- ديوان الاعشى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، لبنان ١٩٦٨ .
  - ديوان جرير ، ج ١ ، تحقيق دكتور نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ .
  - ديوان عشرة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٨ .
  - ديوان عروة بن السرد والسموأل ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
  - ديوان امرئ القيس ، ط ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ .
  - شرح ديوان جميل ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
  - ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .
  - النوني ، شرح المعلقات العشر ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
  - ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار أحمد فزاج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ .
  - شعر الاحوص الانصاري ، تحقيق عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

